مجلة كلية الآداب

إشكالية الحكم فى مملكة أشتوريس الإسبانية
(٧٣٩- ٩١٠ م)
دراسة وثائقية

إعداد
د. عبد المحسن طه رمضان

العدد الحادي عشر يوليو ٢٠٠٤

يعتبر ظهور مملكة أشتوريس، وتواجدها على مدى قرنين إلا قليلاً من الزمان (٧٣٩- ٩١٠ م)، انعطافة هائلة فى تاريخ شبه جزيرة إيبيريا السياسى والحضارى، بشقيه الإسلامى والمسيحى؛ فقد بدأت بها مرحلة حرجة للغاية من تاريخ المسلمين هناك، إذ فرضت وجودها عليهم وأرغمتهم على قبولها كقوة سياسية مستقلة عنهم؛ ثم انتزعت منهم كل ما يقع شمال نهر دويرة حتى بلغت مساحتها - وفى وقت وجيز- نحو ثلث مساحة شبه الجزيرة، بعد أن كانت محصورة فى ركن جبلى قصى فى الشمال؛ وبذلك تغير شكل الخريطة السياسية لإيبيريا ولأول مرة منذ أن قدم إليها المسلمون، وانتهت بذلك أولى مراحل تقلص نفوذهم؛ وهو تقلص تكفلت الممالك اللاحقة لأشتوريس بإتمام مراحله، فى محاولات وإن تعثرت أحياناً لكنها كانت تستعاد دون كلل، حتى قدر لها أن تزيح النفوذ الإسلامى كلية عن شبه الجزيرة مع نهايات القرن الخامس عشر الميلادى، وفى توقيت كانت قد تولدت فيه عند القوى الإيبيرية رغبة جامحة فى السيطرة والنفوذ خارج أراضيها؛ فاقتحمت ميدان الكشوف الجغرافية وشاركت فيها بنصيب وافر، بحيث لم يكد يطل العصر الحديث إلا وكانت إيبيريا قد تخلصت من التبعية الإسلامية، وأعادت ارتباطها بحركة التاريخ الأوربى بعد انفصال دام نحو ثمانية قرون، وعلى هذا النحو كانت أشتوريس حجر الزاوية فى إعادة صياغة تاريخ إيبيريا السياسى حتى مطلع العصر الحديث.

وإذا كانت أشتوريس على هذا النحو قد رسمت لإيبيريا طريق التحرر من السيطرة الإسلامية، وهيأت لها فرصة الارتقاء إلى مصاف القوى الأوربية الكبرى مع مطلع العصر الحديث؛ فقد احتلت أيضاً مكانة بارزة فى تاريخ تطور إيبيريا الحضارى، وهى مكانة استمدتها من كونها القوة الإيبيرية التى قدر لها - عقب الفتح الإسلامى- أن تحتضن التراث القوطى المشبع

بالمؤثرات اللاتينية فى نظمه وتقاليده وقوانينه، وتنتشله من هاوية الاحتضار، ثم طوعته لما يتوافق مع ظروف عصرها ومستجداته حتى أورثته لما خلفها من ممالك إيبيرية، ولعبت بذلك دور الوسيط الحضارى بين النظام القوطى ونظم العصر الوسيط، التى استوى على أساسها شكل نظام الحكم فى مملكتى إسبانيا والبرتغال الحاليتين.

وعلى الرغم من هذه الأهمية المزدوجة لأشتوريس على المستويين السياسى والحضارى، فمما يثير الانتباه أن اهتمامات الباحثين المحدثين – من إسبان وأوربيين وعرب [1] – انصرفت إلى رصد تطور تاريخها السياسى وحده وتقلبات علاقتها بالأندلس رصداً استجلى تفاصيله ودقائقه، بدون أن يحظى تاريخها الحضارى منهم إلا باهتمام جد هامشى، وصل فى كثير من الأحيان إلى حد التجاهل، وأوصل المكتبة الإسبانية إلى ما تعانيه من نقص حاد فيه، بحيث أن إحصاءً كمياً ونوعياً لمجمل ما كتبوه عن أشتوريس بصفة عامة يؤكد قلة ما صنفوه عن نظمها وحضارتها؛ وهو مع قلته فإن بعضه

---

[1] من أبرز الإسبان هنريك فلوريث H. Florez ومانويل ريسكو M. Risco، ورامون مينديث بيدال R.M. Pidal، وفرنسيسكو كوديرا F. Codera، وكلاوديو سانشيث البرنوث C. Sanchez Albornoz؛ أما الأوروبيون فيأتى على رأسهم الهولندى رينهرت دوزى R. Dozy والفرنسيان ليفى بروفنسال Levi – Provencal وبراو دييجو Barrau-Dihigo؛ ومن العرب فيكفى أن نذكر حسين مؤنس، والسيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادى، ومحمد عبد الله عنان، وعبد الرحمن الحجى ورجب محمد عبد الحليم، وأخيراً صاحب البحث فى رسالته للحصول على درجة الدكتوراة بعنوان: موقف مسلمى الأندلس من مملكة أشتوريس الإسبانية ١٢١– ٢٩٧ هـ، بجامعة عين شمس ١٩٨٦م؛ وهو البحث الذى نشر متضمناً بحث الماجستير وذلك فى كتاب بعنوان: الحروب الصليبية فى الأندلس، نشأتها وتطورها حتى القرن العاشر، الأنجلو المصرية، ديسمبر ٢٠٠١م.

يـــندرج ضمن ما يعرف بالدراسات العامة الشمولية، التى ترسم أطراً عامة لنظم كل ممالك إيبيريا المتعاقبة وحضارتها منذ نهايات العصور القديمة حتى نهايـــات العصـــور الوســـطى؛ وتمـــثلها دراســـات كـــل من إرنستو ماير ErnestoMayer بعـــنوان: "تـــاريخ الـــنظم الاجتماعية والسياسية فى إسبانيا والبرتغال فيما بين القرنين الخامس والخامس عشر الميلاديين" (٢)؛ وبالوميك A.Palomique بعنوان: "تاريخ الحضارة والنظم الإسبانية" (٣)؛ وفونت رويس Font Rius بعـــنوان: "النظم الإسبانية فى العصور الوسطى: النظام السياسى والاقتصـــادى والاجتماعى فى ممالك إسبانيا المسيحية" (٤)، وهى دراسة فى مائـــة وتســـع وخمســـين صـــفحة فقط؛ وأخيراً دراسة سانشيث البورنوث C.Sanchez Albornoz بعـــنوان: "تحقيقات ووثائق عن النظم الإسبانية" (٥).

ولا شـــك فى أن نظم مملكة أشتوريس فى مثل هذه النوعية من الدراسات لا يمكـــن أن تمـــثل سوى خطوط باهتة ممسوخة، هى أقرب إلى الموضوعات التثقيفية منها إلى الدراسات المتخصصة.

أمـــا الدراسات الأخرى فهى وإن كانت أكثر تخصيصاً لمملكة أشتوريس ووريثتـــيها مملكـــتى لـــيون وقشتالة، إذ اقتصرت على مدة زمنية أقصر لا تجـــاوز خمسة قرون فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر الميلاديين؛ فإنها مـــع ذلـــك حصـــرت نفسها فى إطار الدراسات الاجتماعية فى هذه الممالك الـــثلاث، دون أن تـــتطرق إلـــى غـــيرها من النظم؛ مثل دراسات سانشيث

---

(٢) La Historia de las Instituciones Sociales y Politicas de Espana y Portugal durante los Siglos V al XV, 2tomos, Madrid 1925–26.

(٣) La Historia de la Civilizacion y de las Instituciones Hispanicas, Barcelona 1946.

(٤) Las Instituciones Medievales Espanolas, La Organizacion Politica, Economica y Social de los Reinos Cristianos de la Reconquista, Madrid 1949.

(٥) Investigaciones y Documentos sobre las Instituciones Hispanas, Santiago 1970.

البورنوث عن: "المشمولون بالحماية فى مجتمع أشتوريس وليون وقشتالة" [٦]، وعن: "علاقة السلطة الملكية بعلية القوم فى هذه الممالك الثلاث أيضاً" [٧]، وعن: "طبقة الأحرار فى مملكتى أشتوريس وليون"[٨]؛ وأخيراً دراسة فونت رويس عن: "مجتمع ممالك أشتوريس وليون وقشتالة"[٩].

وعلى ذلك حظى نظام أشتوريس الاجتماعى بما لم يحظ به نظام حكمها الذى لم يلق حتى الوقت الحاضر من الباحثين إلا إعراضاً؛ مع أنهم درسوا نظام الحكم فى مملكة طليطلة السابقة على أشتوريس، وفى مملكتى ليون وقشتالة اللاحقتين لها، واستفاضوا فيه بدراسات متعددة تتصدرها دراسة المؤرخ الألمانى فليكس دان Felix Dahn عن:"نظام الحكم فى مملكة طليطلة"[١٠]،

---

(٦) Las Behetrias, La Encomendacion en Asturias, Leon y Castilla, Anuario de Historia del Derecho Espanol, JAE-CEH 1924, t1 pp 158- 336. وهى الدراسة التى أكملها بدراسة أخرى فى نفس المجلة بعنوان: Muchas Paginas mas sobre las Behetrias, 1925, t2 pp 5- 157. والمقصود بمصطلح Las Behetrias ظاهرة التحول الارادى لصغار ملاك الأراضى فرادى أو جماعات إلى تبعية كبار السادة الإقطاعيين بهدف حمايتهم؛ وهى ظاهرة بدأت منذ العصر الرومانى وظلت تتطور حتى العصور الوسطى، وفى ذلك انظر: Aguado Bleye, Manual de Historia de Espana, Madrid 1975, I pp 362- 363, 514- 515؛ نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط فى أوربة، ط ١، دار الفكر الحديث لبنان ١٩٦٧م، ص ٣٥٤- ٣٦٤

(٧) Las Potestad Real y Los Senorios en Asturias, Leon y Castilla en los Siglos 8 al 13, Revista de Archivos Bibliotecas y Museos, Madrid 1914, epi 31, t39 pp263-290.

(٨) Los Libertos en el Reino Astur- Leones, Revue Portuguesa de Historia, t 4, 1947. PP 9- 45

(٩) La Sociedad en Asturias, Leon y Castilla en los Primeros Siglos Medievale؛ وهو الجزء الأول من كتابه: La Historia Social y Economica de Espana y America, Barcelona 1957.

(١٠) بالجزء السادس من مجموعته المسماه: Die Konige der Germanen, 1st ed., Wurzburg 1871. وهو الجزء الذى أعيد طبعه فى Leipzig عام ١٨٨٥م.

ودراسة المؤرخ الإسبانى سانشيث البورنوث عن: "نظام الحكم فى مملكتى ليون وقشتالة" [11]؛ وبذلك أسقطوا نحواً من قرنين من عمر نظام الحكم فى إيبيريا العصور الوسطى، وكأنه نظام قائم بذاته لا يمت بصلة لمثيله السابق عليه أو اللاحق له، مع أنه يمثل حلقة وصل بين نظم هذه الممالك، ونقطة انطلاق لما شهدته من تطور على مدار العصور الوسطى، حتى أصبحت أساس نظام الحكم فى مملكتى إسبانيا والبرتغال الحاليتين.

ولم تقف حدود الإشكالية عند هذا الحد، وإنما ازدادت تعقداً وإبهاماً، حينما عمم سانشيث البورنوث نتائج دراساته عن نظام الحكم فى مملكتى ليون وقشتالة على مثيله فى مملكة أشتوريس؛ وهو تعميم انطوى على مغالطة واضحة. ذلك أنه مع التسليم بأن نظام الحكم فى هاتين المملكتين لم يكن إلا امتداداً للموروث القوطى؛ فلا يمكن أن نتجاهل من ناحية أخرى ما طرأ عليه من متغيرات واكبت ظروف كل عصر ومستجداته؛ فقد كانت الدولة فى العصر الأشتورى – مثلاً- ناشئة ضعيفة مقارنةً بدولة خصومها مسلمى الأندلس؛ وأملى عليها هذا الضعف أن يكون حاكمها قائداً عسكرياً بالدرجة الأولى، كى يكون قادراً على ضبط ثغورها ومواجهة عدوها، بما يوفر لها القدر المطلوب من الاستقرار والأمان لتبنى قواعدها الداخلية؛ ومن ثم كان من المستبعد أن يشهد هذا العصر أياً من نظامى الوصاية على العرش أو تولية النساء؛ وهما نظامان لم يجر العمل بهما إلا فى العصر الليونى القشتالى بعد ما استوى عود الدولة واشتد ساعدها، واكتملت مؤسساتها وتفوقت على عدوها؛ إلى غير ذلك من متغيرات تدلل على أن نظام الحكم لم

---

(11) La Sucesion al Trono en los Reinos de Leon y Castilla, Boletin de la Academia Argentina de Letras 1945, pp 35-124.

يكن جامداً بقدر ما انطوى على مرونة توافقت مع متغيرات كل مرحلة، وهو الأمر الذى يستحيل معه مجاراة البورنوث فى منحاه السابق الإشارة إليه.

* * *

ومـــع ذلك كله، فإن الإنصاف العلمى يقتضى التنويه بأن تمادى إعراض المؤرخيـــن عـــن دراسة نظام الحكم فى أشتوريس حتى الوقت الحاضر إنما يـــرجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة مصادر العصر الأشتورى، وفى مقدمتها وثـــائق مملكـــة أشتوريس ذاتها[١٢]، التى يؤخذ عليها من النظرة الأولى قلة

---

[١٢] بـــدأ التنقيب عنها وجمعها من مظانها مع أواخر القرن السادس عشر الميلادى فصاعدا؛ وما عـــثر عليه نشره المؤرخون تباعا دون تحقيق أو تمحيص، واستفادوا منه على حاله فى دراساتهم عـــن تـــاريخ أشـــتوريس، ومن هؤلاء نخص بالذكر: Antonio de Yepes, Ambrosio de Morales, Francisco de Escalona, Francisco Sota, Lopez Ferreiro, Manuel Risco, Henrique Florez وغـــيرهم. ثـــم حدثت نقلة نوعية فى هذه الوثائق مع نهايات القرن التاسع عشر، حينما بدأ المؤرخون فى تحقيقها، كل فيما استهواه منها وبطريقة فردية؛ ويبرز منهم فـــى هـــذا المجال كل من: Luciano Serrano, Juan de Alamo, C.M. Vigil, Barrau-Dihigo, Serrano Sanz, Sanchez Albornoz, Sanchez Belda وغـــيرهم كثـــير ممـــن نشـــروا تحقيقاتهم فى المجلات المتخصصة أو دراسات مستقلة؛ حتى اكتملت هذه النقلة بما قام به العالم الإسبانى فلوريانو A.C. Floriano حين جمع كل هذه الوثائق، ثم رتبها ترتيبا زمنيا، وأفرد لكل منها دراسة نقدية تحليلية، من حيث التاريخ والأسلوب والمحتوى والموضوع وأطراف التعامل فـــيها، ونـــتائج الدراســـات السابقة عليه، مع فهارس تفصيلية متنوعة لكل ما ورد فيها من أعلام وأماكـــن ومصـــطلحات ... إلـــخ، ونشرها فى مجلدين بعنوان: Diplomatica del Pariodo Astur, Oviedo 1949-1951. ومـــع أن معظم آرائه جاءت متوافقة مع أراء سابقيه، فقد بقى الخـــلاف حول ماهية بعض الوثائق التى تعتبر فى حكم المشكوك فيه، دون أن ينجح فلوريانو فى حســـم الخلاف حولها، فإن دراسته هى الأولى من نوعها، لا يضاهيها فى مجالها عمل سابق ولم يكملهـــا عمـــل لاحق؛ وتوقفت معها اهتمامات المؤرخين بهذه الوثائق، ومن ثم فلا غنى عن هذا العمل لأى باحث متخصص فى تاريخ أشتوريس.

أعدادها بما لا يتناسب مع مملكة عمرت قريباً من قرنين، شهدا حركة متصلة ونشاطاً دائباً على مختلف مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية وحتى العسكرية؛ إذ لا يتجاوز مجموع ما عثر عليه منها مائتين وأربع وثائق؛ يتحتم استبعاد إحدى وثمانين وثيقة منها ما بين مزيفة تزييفاً كاملاً أو جزئياً، أو مشكوك فى صحتها لسبب من الأسباب، أو منسوبة خطأ إلى العصر الأشتورى؛ ومن ثم فما يعتد به منها لا يعدو مائة وثلاث وعشرين وثيقة، أى بواقع أقل من وثيقة فى كل عام من أعوام عمر المملكة.

وثانى ما يلاحظ على هذه الوثائق – برغم محدودية أعدادها- أنها تصنف إلى نوعين: أولهما ما أصدره ملوك أشتوريس أنفسهم، وهى التى تعرف بالمراسيم أو الوثائق الملكية، وتبلغ عشرين وثيقة فقط موزعة توزيعاً زمنياً غير متناسق على مدار عمر المملكة؛ فما يخص القرن الثامن بكامله وثيقة واحدة مؤرخة فى عام ٧٧٥ م؛ ووثيقة أخرى مؤرخة فى عام ٨١٢ م أى من النصف الأول من القرن التاسع؛ وأربع عشر وثيقة من النصف الثانى من ذات القرن مؤرخة فيما بين عامى ٨٦٠ و ٨٩٩ م؛ فى مقابل أربع وثائق مؤرخة فيما بين عامى ٩٠٤ و ٩٠٩م أى خلال العقد الأول من القرن العاشر الذى انتهت به المملكة. كما أن توزيع هذه الوثائق جغرافياً على أقاليم المملكة غير متناسق هو الآخر؛ إذ تتعلق ثلاث منها فقط بإقليم أشتوريس قلب المملكة، وما عداها فيتعلق بنواح متفرقة فى بقية أقاليم المملكة وهى أقاليم جليقية وألبة وقشتالة. وفى كل الأحوال فإن موضوع هذا النوع من الوثائق ينصب مباشرة على الشئون الدينية البحتة، من إقامة كنائس وأديرة، أو تخصيص أوقاف لها، أو تعيين أساقفتها وكبار موظفيها، أو تحديد جهة الإشراف عليها؛ إضافة إلى قرارات بمصادرة أملاك ثوار أو خارجين على

الطاعـــة وضمها إلى ملكية هذه الكنائس والأديرة؛ إلى غير ذلك من الأمور التى لا تمت لنظام الحكم فى المملكة بصلة مباشرة.

أما النوع الثانى من وثائق المملكة، وهو الذى يضم العدد الأكبر منها، إذ يـــبلغ مائـــة وثلاث وثائق، فهى وإن شابهت سابقتها فى توزيعها الجغرافى والزمـــنى غـــير المتناســـق، بحيث لا يخص القرن الثامن منها سوى خمس وثـــائق؛ وثمانى عشرة وثيقة من النصف الأول من القرن الذى يليه، وثلاث وســـبعين وثـــيقة من النصف الثانى منه؛ فى مقابل سبع وعشرين وثيقة من العقـــد الأول مـــن القـــرن العاشر؛ فإن موضوعاتها متنوعة ما بين اتفاقات لمواطنين على معاملات بيع وشراء وتنازل واستبدال ممتلكات وعقارات، أو اتفاقـــات على إقامة دور عبادة أهلية من كنائس وأديرة، أو حتى على تقديم هـــبات وعطايا لها؛ أى أنها ترتبط فى مجملها بمجريات النشاط الاقتصادى والاجتماعى حتى الدينى فى المملكة، دون أن يكون لنظام الحكم فيها نصيب؛ وهـــو الأمـــر الـــذى يفســـر أحـــد أسباب إعراض المؤرخين عن دراسته، وانصرافهم إلى دراسة غيره من النظم مثلما سبقت الإشارة.

وتـــأتى نقـــوش المملكة [١٣] إلى جانب وثائقها كمصدر آخر من مصادر تاريخهـــا؛ وهـــى مع الأسف تماثل الوثائق فى نوعيتها وترتبط هى الأخرى بالأنشـــطة الدينـــية والعســـكرية؛ كإقامـــة كنائس وأديرة فى مدنها وقراها أوتجديدها، أو قلاع وحصون فى أماكن استراتيجية كثغورها؛ ولذلك تنحصر فائدتها لنظام الحكم فى التعرف على طبيعة مشاركات أفراد الأسرة الحاكمة

---

(١٣) مـــن أهـــم مجموعـــات هـــذه الـــنقوش ما يلى: A. Hubner, Inscriptiones Hispaniae Christianae, Berolini 1871؛ وله تكملة بعنوان: Inscriptiones Hispaniae Christianorum Supplementum, Berolini 1900; C.V. Vigil, Asturias: Monumental, Epigrafica y Diplomatica, 2 vols, Oviedo 1887؛ إضافة إلى ما ورد من نقوش فى الجزء السابع والثلاثين من موسوعة: Espana Sagrada, 1st ed, Madrid 1789.

فى مثل هذه الأنشطة، والاستدلال بها على ما قد يكون له صلة بهذا النظام؛ وهـــى فائدة تظل محدودة للغاية فى ضوء ما يتوقع من الوثائق بصفة عامة، مثلما سيجئ بيانه فيما بعد.

أما الكتابات التاريخية المعاصرة لمملكة أشتوريس واللاحقة لها فى العصر الليونى القشتالى، فتمثل المصدر الثالث من مصادر تاريخها؛ ولها هى الأخرى طبيعـــتها الخاصة التى تجمعهما فى نسق واحد؛ بحكم أن مؤلفيها كانوا رجال ديـــن ممـــن احتكروا مهمة التدوين التاريخى، باعتبارهم الفئة المثقفة الوحيدة القـــادرة علـــى صـــياغة لغة لاتينية سليمة؛ ولذلك يستحيل أن نصادف تدويناً تاريخـــياً لعلمانى سوى مدونة: La Cronica de Alfonso III[١٤]، المنسوبة إلى الفونســـو الثالث آخر ملوك أشتوريس (٨٦٦- ٩١٠ م)، التى كانت أول وآخر محاولـــة لعلمانى فى هذا المجال حتى القرن الرابع عشر الميلادى؛ وما عداها مـــن مدونـــات فقـــد اخـــتطها رجال الدين؛ كما هى حال مدونـــــة: الأسقف سباستيان Chronicon Sebastiani[١٥]

---

(١٤) نشـــرها Barrau-Dihigo بعـــنوان: Une Redaction Indite du Psuedo-Sebastien de Salamanque, Revue Hispanique, Paris 1910, t23 pp235-264؛ ثـــم نشرها Z.G. Villada بنصـــها اللاتيـــنى فـــى كتابه: La Cronica de Alfonso III, Madrid 1918, pp99-131. أما Gomez Moreno فقـــد نشـــرها بعـــنوان: La Cronica Rotense، نسبة إلى مكان العثور على مخطوطـــتها، ملحقـــة على مقاله: Las Primeras Cronicas de la Reconqista, Boletin de la Real Academia de la Historia, Madrid 1932, t100 pp609-621.

(١٥) حققها فلوريث H. Florez ونشرها بنصها اللاتينى فى مجموعة: Espana Sagrada, 1st ed., Madrid 1756, t13 apen 7, pp 464-489؛ ثم نشرها L.P. Migne فى مجموعته: Patrologiae Crusus Completus, Series Prima Latina, Paris 1853, t129 pp 1111-1124؛ ثم نشرها R. Cobo y Sampedro مصـــحوبة بـــترجمة قشتالية فى مجلة: Revista Mensuel de Filosofia, Literatura y Ciencias de Sevilla, Sevilla; 1870, t2 pp 453-461, 490-494, 535-541؛ كما نشرها A. Huici مصحوبة بترجمة قشتالية فى كتابه: Las Cronicas Latinas de La Reconquista, Valencia 1913, tI pp 196-239.

ومدونة راهب دير البلدة Chronicon Albeldense[١٦]، ومدونة بروفتيكا La Cronica Profetica[١٧]، وكلهـا مـن العصر الأشتورى، وعلى النحـو الذى أشـير إلـيه فى دراسة سابقة للباحث[١٨]؛ وهو تقليد لم يتوقف بانتهاء العصر الأشـتورى وإنما تواصل فى مدونات العصر الليونى القشتـالى، حتى نهاية القـرن الثالـث عشر على الأقل [١٩]، كمدونة سامبيرو أسقف مدينة أستورقة Chronicon Sampiri Asturicensis Episcopi[٢٠]، فى النصف الأول من القرن الحـادى عشر، ومدونة راهب ديرسيلوس Chronicon Monachi Silensis[٢١] فـى النصـف الأول مـن القـرن الذى يليه، ومدونةليون Une Chronique

---

(١٦) حققها فلوريث H. Florez ونشرها أيضا فى مجموعة Espana Sagrada, op cit, t13 apen 6, pp417-464؛ كمـا نشرها L.P. Migne فى موسوعة: Patrologiae, op cit, t129 pp1124-1146؛ ثم نشرها R. Bocanegra مصحوبة بترجمة قشتالية فى مجلة: Revista Mensuel,op cit, Sevilla 1871, t3 pp171-176, 217-221, 270-274, 306-310, 342-347, 403-408. 446-456. 550-558؛ وأخيرا نشرها A. Huici فى كتابه: Las Cronicas, op cit, 1 pp114-196.

(١٧) حققها M. Gomez Moreno ونشرها بنصها اللاتينى ملحقة على مقاله السابق: Las Primeras, op cit, t 100 pp 622- 628.

(١٨) وهـى بعـنوان: شارلمان فى مصادر تاريخ إسبانيا من القرن التاسع حتى القرن الثانى عشر المـيلادى، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٢، أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ١٥٤ والمراجع المعطاة.

(١٩) فى ذلك راجع للباحث: الحروب الصليبية فى الأندلس، ص ٨٢ وما بعدها.

(٢٠) حققها H. Florez ونشرها بنصها اللاتينى فى مجموعة Espana Sagrada, 1st ed., Madrid 1758, t14 pp 438-457؛ ثم نشرها R. Cobo y Sampedro مصحوبة بترجمة قشتالية فى مجلة: Revista Mensuel ,op cit. Sevilla 1872, t4 pp 62-71; 1873, t5 pp 379-383. 422-428. 449-458؛ وأخيرا نشرها A. Huici فى كتابه: Las Cronicas, op cit, 1 pp 240-306

(٢١) حققها أيضا H. Florez ونشرها بنصها اللاتينى فى مجموعة: Espana Sagrada, 2nd ed., Madrid 1789, t17 pp 262-323؛ ثم أعاد A. Huici نشرها مصحوبة بترجمة قشتالية فى كتابه السـابق: Las Cronicas, 2 pp 8-169؛ أمـا Francisco Santo de Coco فقد اقتصر على نشر الترجمة القشتالية بعنوان: La Cronica Silense, Madrid 1919، وهى الترجمة التى أعيد طبعها بعـنوان: La Historia Silense, Madrid 1921؛ وأخيرا نشر Gomez Moreno ترجمة قشتالية أخرى لها فى كتابه: Introduccion a la Historia Silense, Con Version Castellano,Madrid 1912.

Leonaise[٢٢] لراهب مجهول الإسم عاش فى النصف الثانى منه، ومدونة تاريخ العالم Chronicon Mundi[٢٣] للأسقف لوكاس Lucas (ت ١٢٤٩ م)، ومعاصرتها مدونة أعمال ملوك إسبانيا Rerum in Hispania Gestarum Chronicon[٢٤] للمطران رودريك خيمينيث Roderici Ximenez (١١٧٥-١٢٤١٧م)، وأخيراً المدونة الأولى لتاريخ إسبانيا La Primera Cronica General de Espana[٢٥] التى كتبها بعض رجال الدين خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى.

والمهم فى أمر رجال الدين هؤلاء أنهم كانوا جميعاً من المغالين فى تعصبهم الدينى الأعمى لمسيحيتهم، وفى عدائهم الصارخ لمخالفيها؛ كونهم من متطرفى أنصار نظرية التفسير الدينى الذين ربطوا كل مجريات تاريخ بلادهم فى حركاته وسكناته بالإرادة الإلهية وحدها؛ بحيث إنهم لم يروا فى

---

(٢٢) حققها G. Cirot ونشرها بنصها اللاتينى فى مجلة: Bulletin Hispanique, Bordeaux 1909, t11 no3 pp 259-282; 1911, t13 no2 pp 133-156, no4 pp 381-439; 1912, t14 no1 pp 30-46, no2 pp 109-118, no3 pp 244-274, no4 pp 353-374; 1913, t15 no1 pp 18-37, no2 pp 170-187, no3 pp 268-283, no4 pp 411-427.

(٢٣) حققها Andreas Schott ونشرها بنصها اللاتينى فى كتابه: Hispaniae Illustratae, Francfort 1608, t4 pp 1-116؛ ثم نشر J. Puyol ترجمتها القشتالية بعنوان: La Cronica de Espana por Lucas de Tuy, Primera Edition del Texto Romanceado, Conferme a un Codice de la Academia de Madrid, Madrid 1926.

(٢٤) حققها أيضا Andreas Schott ونشرها بنصها اللاتينى فى كتابه: Hispaniae Illustratae, Francfort 1608, t2 pp 25-194؛ ثم نشر De la Fuensanta ترجمتها القشتالية الكاملة بعنوان: Coleccion de Documentos Ineditos para la historia de Espana, t 105-106, Madrid 1893 فى مجموعة: Cronica de Espana del don Rodrigo Jimenez de Rada؛ وفى نفس المجموعة نشر كل من F. de Zabalburu و D.J. Rayon الترجمة القشتالية الملخصة التى قام بها رودريك نفسه بعنوان: Estoria de los Godos del Rodrigo de Rada, Madrid 1887, t88 pp1-173.

(٢٥) حققها R. Menendez Pidal ونشرها بنفس العنوان وبلغتها القشتالية ضمن منشورات: Universidad de Madrid, Facultad de Filosofia y Letras, 2 tomos, Madrid 1906، ثم أعيد طبعها مرتين إحداهما فى عام ١٩٥٥م والأخرى فى عام ١٩٧٧م.

زوال مملكـــة القـــوط بالفتح الإسلامى – على سبيل المثال – وما رافقه من تقلـــص سيادة كنيستهم عن البلاد، إلا عقاباً إلهياً على ما اقترفه بعض ملوك القـــوط فـــى حق الدين من آثام وانتهاكات؛ ومن ثم كانوا يرون أن استعادة القـــوط لمجدهـــم السياسى والدينى إنما يكمن فى إرضاء الرب باتباع تعاليم كنيســـته ومجاهدة أعدائه. وهى رؤية انعكست ولا شك على نوعية كتاباتهم، بحيث دارت حول محورين لا ثالث لهما، هما: الشئون الكنسية والدينية بعامة وقضـــية الصـــراع مـــع مســـلمى الأندلـــس، ومـــا ارتبط بها من مدافعتهم ومجـــاهدتهم؛ وأمـــا ما عداهما من أنشطة الحياة ونظمها فقد أعرضوا عنه بوصفه خارجاً عن دائرة اهتماماتهم، ولم يوردوا عنه شيئاً إلا ما كان بعفوية تامة؛ وهو نهج ورثه أيضاً مؤلفو مدونات العصر الليونى القشتالى، لا سيماً أنهـــم جـــاءوا فـــى عصر التهبت أحداثه جراء اطراد حركة الاسترداد، وما واكبها من انبعاث روح القومية الإسبانية ونموها؛ فانشغلوا كأسلافهم وبنفس مـــنظورهم فـــى تتبع أحداث عصرهم ورصدها؛ بدون أن تتاح لهم – أو أن يتيحوا لأنفسهم– فرصة التوقف عند روايات العصر الأشتورى السابق عليهم لمراجعـــتها وتدقيقها، أو استكمال أوجه قصورها، واكتفوا بنقلها على علاتها نقلاً وصل إلى حد التقيد بألفاظها وأسلوبها وترتيبها وحتى تبويبها، من غير أن يضـــيفوا عليها جديداً كان يمكن أن يزيل بعض ما يغلف موضوع نظام الحكم فى أشتوريس من غموض وإبهام.

وعلـــى الرغم من كل ما سلف عن مصادر مملكة أشتوريس، من وثائق ونقوش ومدونات، وعن طبيعتها التى أزهدت الباحثين وصرفتهم عن دراسة نظـــام الحكـــم فـــيها، فإنهـــا لم تعدم إشارات متفرقات ذات فائدة لموضوع الدراسة؛ إذا ما أجيد توظيفها فى إطار مجريات تطور تاريخ المملكة بإيجاد الـــروابط بيـــنها مـــن ناحـــية؛ ثم بمقارنتها بنظم الحكم فى الدول المجاورة

المعاصـــرة سواء فى الأندلس أو فى غالة من ناحية أخرى؛ وأخيراً بربطها بجذورهـــا التى ترجع إلى العصر القوطى بنظمه وتقاليده وقوانينه؛ وذلك فى محاولـــة أولية ليس بالضرورة أن يقدر لها النجاح المأمول، بقدر ما تنبه إلى أهمـــية الموضـــوع بما يفتح قنوات حوار ونقاش بين المتخصصين، سيؤدى حـــتماً إلـــى نتائج إيجابية تنتهى باستجلاء معظم - إن لم يكن كل - نواحى غموضه وتعقيداته.

* * *

وبدايـــة يجب أن نحسم قضية حيوية هى بمثابة نقطة الانطلاق الصحيحة لدراســـة نظام الحكم فى أشتوريس؛ وهى قضية أثارها المؤرخ ابن خلدون، حينما افترض أن الفتح الإسلامى لإيبيريا قد أودى بأمة القوط وبسلطانهم من الـــبلاد إلى غير رجعة، بحيث لم يعد يربطهم بمملكة أشتوريس اللاحقة لهم أدنـــى صلة سياسية كانت أو إثنية؛ أو كما قال: "وعندى... فإن أمة القوط قد دثرت وغيرت وهلكت، وقلّ أن يرجع أمر بعد إدباره، وإنما هو ملك مستجد فـــى أمـــة أخرى، والله أعلم"[٢٦]؛ وهو ما صور الفتح الإسلامى لإيبيريا فى نظـــر البعض على أنه "معجزة تاريخية"[٢٧]؛ وفى ذلك ولا شك تجاوز لواقع مملكة أشتوريس السياسى والإثنى.

ذلـــك أنه على الرغم من التسليم بعظمة بعض جوانب هذا الفتح، فإنه لم يكـــن حاسماً فى القضاء على أمة القوط أو إنهاء سيادتها كلية من إيبيريا؛ إذ

---

(٢٦) العـــبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ١٩٦٨م، ٤ص ١٧٩- ١٨٠.

(٢٧) انظـــر على سبيل المثال: Levi Provencal. Histoire de L'Espagne Musulmane. nouvelle edition. Paris 1950. Ip2. (تاريخ إسبانيا الإسلامية منذ الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمة على عبد الرءوف البمبى وآخرون، ط٣، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٢٠٠٠م، ١ص ٤٤).

مـــن المســـلم بـــه أن المسلمين لم يقدر لهم أن يطأوا أراضى دوقية كنتبرية Cantabria بأقصـــى الشمال، فأفلتت من أيديهم وظلت السيادة عليها لحاكمها القوطـــى بطـــرس Petrus[٢٨]، حـــتى خلفـــه حين وفاته ابنه الفونسو الأول Alfonsol فـــى عام ٧٣٩م؛ فحول هذه الدوقية المتواضعة إلى مملكة عرفت بأشتوريس، لا سيماً أنها أصبحت الممثل الوحيد للأمة القوطية وسلطانها منذ زوال الســـلطة الأم من طليطلة، وما تلاه من انهيار مؤسساتها فى بقية أقاليم إيبيريا. ثم تعاقب على حكم هذه المملكة تسعة من ذرية الفونسو نفسه وذرية أخـــيه الوحـــيد فرويلة Fruela[٢٩]، كان آخرهم الفونسو الثالث Alfonso III الذى انتهت المملكة بوفاته عام ٩١٠م؛ لترثها مملكة ليون Leon التى لم تلبث أن تولدت منها – قرب أواخر القرن العاشر الميلادى– مملكة أخرى عرفت بقشـــتالة Castilla؛ وبهاتين المملكتين تواصلت أيضاً الأمة القوطية وسيادتها على أرض إيبيريا حتى بعد اختفاء مملكة أشتوريس.

وما يدلل على واقع مملكة أشتوريس كامتداد سياسى وإثنى لمملكة طليطلة القوطية، أنه ما من أحد من مؤرخى العصرين الأشتورى والليونى القشتالى – وهو يؤرخ لمملكة أشتوريس– إلا ويقدم لها بالتأريخ لمملكة طليطلة، سواء مـــنذ بدايـــتها أو على أقل تقدير فى عصر ملوكها الخمسة الأواخر (٦٧٢–٧١١م)؛ وفى كلتا الحالتين يصل ما بين المملكتين وصلاً سياسياً، بأن يجعل

---

(٢٨) عنه راجع: Chron. Albeldense, ed. Florez, 13 p 451 chap. 52; Chron. Silensis, ed. Florez, 17 p 276 chap. 26; Rerum in Hispania, ed. Schott, 2 p 71 lib. 4 chap 5; Chronique Leonaise, ed. Cirot, 13 p 390 chap 9.

(٢٩) ونصها: "qui debitum Carnis exolvens, duos filios Chron. Silensis, Loc cit. ؛suppradictum Aldefonsum scilicet et Froilam reliquit". وراجع أيضا: Anales Toledanos III, ed. Florez, Espana Sagrada, 1st ed., Madrid 1767, 23 apen 2 p 415; La Cronica de Lucas, ed. Puyol, p 279; Rerum in Hispania, Loc cit; La Primera Cronica, ed. Pidal, 2 p 330 chap. 580.

أول ملـــوك أشتوريس – الفونسو الأول– يلى مباشرة آخر ملك قوطى؛ كى يبدو خليفته على العرش القوطى؛ ثم ينسبه إلى سلالتهم القوطية الملكية[٣٠]، وتحديـــداً فـــى ذريـــة أشهر ملكين قوطيين وهما ليوفيجيلد Leovigild وابنه ريكـــاردو Recaredo من بعده[٣١]، وهما اللذان حكما فيما بين عامى ٥٨١ و ٦٠١م، وإلـــيهما يرجع فضل تحول القوط إلى الكاثوليكية؛ وهو نسب تؤيده أيضـــاً إحدى وثائق عصر الفونسو نفسه[٣٢]. ومن ناحية أخرى فإن حرص هؤلاء المؤرخين على مداومة تحديد نسب خلفاء الفونسو، ممن تعاقبوا على العـــرش بعـــده واحـــداً تلو الآخر، ينفى أى شك فى أن عرش أشتوريس قد انحصـــر فـــى ذريته وذرية أخيه، ويؤكد فى الوقت نفسه امتداد إثنية ملوك طليطلة نفسها واستمرارها طوال عهد المملكة.

ومـــن هنا ظل ملوك أشتوريس فى نظر هؤلاء المؤرخين قوطاً كأسلافهم ملـــوك طليطلة، وبقيت مملكتهم قوطية صرفة كسابقتها؛ وحسبنا فى ذلك أن ابتدأ كل من الملك الفونسو الثالث وأسقفه سباستيان مدونته بالنص على أنها:

---

(٣٠) Cron. de Alfonso III, ed. Villada, op cit, p 115, chap 11 (Cron. Rotense, ed. Moreno, p 615). ونصها: "Infra pauci vero temporis spatium Adefonsus, filius Petri, Cantabrorum ducis, ex regia prosapia".

(٣١) Chron Sebastiani, op cit, 13 p 481 chap 13. ونصها: "Filius (Adefonsus) Petri ducis ex semine Leuvegildi et Recaredo regum progenitus". وراجع أيضا: Chron. Silensis, op cit, 17 p 276. chap. 26; Anales Toledanos III, op cit, 23 p 415; La Cronica de Lucas, ed. Puyol, p 279; Rerum in Hispania, op cit, p 71 lib 4 chap 5; La Primera Cronica, op cit 2 p 330 chap 580.

(٣٢) وهى التى صادق بموجبها الأسقف أودواريو Odoario فى عام ٧٤٤م على الهبات المقدمة لكنيسته بمدينة لوجو Lugo فى إقليم جليقية، وفى إشارته إلى الملك الفونسو الأول نص على أنه: "Qui ipse erat de stirpe Regis Reccaredi et Ermengildi"، وإن كان يلاحظ أن اسم ليوفيجيلد فيه تصحيف وهو خطأ واضح، إذ لم يعرف أحد من ملوك القوط باسم Ermengild؛ وعن نص الوثيقة راجع: Mariano M. Valdes, Estudio Critico- Filosofico sobre la Monarquia Asturiana, Revista de Espana, Madrid, Setiembre- Octubre 1879, t 70 p 77 note I.

تـــاريخ القـــوط "Chronica Visigothorum"[٣٣]، مع أن هدفهما الرئيسى فى هاتيـــن المدونتين هو التأريخ لملوك أشتوريس حتى عصرهما وتحديداً حتى عـــام ٨٦٦م، وهـــى مدة تربو على قرن وربع من الزمان، ولم يتناولا من تاريخ ملوك طليطلة سوى تسعة وثلاثين عاماً فقط (٦٧٢- ٧١١م) هى مدة حكـــم ملوكها الخمسة الأواخر. أما معاصرهما صاحب مدونة البلدة فقد عبر عـــن هـــذا المعنى بطريقته الخاصة، إذ بعد ما فرغ من تدوين عصر ملوك طليطلة بكامله، ابتدأ التأريخ لملوك أشتوريس تحت عنوان مستقل هو تاريخ: ملوك أوبييدو القوط "Gothorum Ovetensium Regum"[٣٤]، بهدف تمييزهم جغرافياً وزمانياً فقط عن أسلافهم ملوك طليطلة وذلك بنسبتهم إلى عاصمتهم أوبييدو، لكن دون أن يجردهم من قوطيتهم أو ينزع منهم سلطانهم السياسى، مـــثلما يبدو واضحاً من العنوان. ثم يأتى رودريك مؤرخ مملكة قشتالة ليدلل على هذا المفهوم أيضاً، فهو وإن عنون مدونته فى صيغتها اللاتينية بعنوان: تاريخ ملوك إسبانيا "Rerum in Hispania Gestarum Chronicon"، فإنه عاد واختار لذات المدونة – حينما ترجمها إلى القشتالية- عنواناً آخر هو: تاريخ القوط "Estoria de los Godos"[٣٥]؛ لقناعته بتواصل الدماء القوطية وسيادتها فـــى إيبـــيريا حتى عصره القشتالى. وأخيراً يحسم صاحب مدونة البلدة[٣٦]

---

(٣٣) قارن: La Cronica de Alfonso III, op cit, p 99 (= La Cronica Rotense, op cit, 100 p 609; Chron Sebastiani, op cit, 13 p 473 (= Une Redaction Inedite, ed. Barrau-Dihigo, 23 p 240).

(٣٤) Ed. Florez, op cit, 13 p 450 chap 50 (= ed. Huici, op cit, 1 p 158).

(٣٥) راجع هامش رقم (٢٤).

(٣٦) Ed. Florez, 13 p 449 chap 46 (= ed. Huici, 1 p 156). ونـــص عبارته: "Regnumque Gothorum Capiunt [Sarraceni] quod adhuc usque ex parte pertinaciter possident, et cum eis christiani die moctuque bella iniunt, et quotidie confligunt, dum praedestinatio usque divina dehinc eos expelli crudeliter jubeat, Amen". أى أن الســـيادة القوطـــية وإن انتقصـــت (بانتزاع المسلمين حكم طليطلة) فإنها ظلت باقية فى أشتوريس التى لن يتقاعس مسيحيوها عن مناهضة الغزاة حتى تأذن العناية الإلهية باستئصالهم وطردهم من البلاد شر طرد.

ومعاصره صاحب مدونة بروفتيكا[٣٧] الموقف برمته فى وضوح لا لبس فيه، حينما قررا بأن فقدان القوط حكم طليطلة لا يعنى اندثارهم أو إدبار سلطانهم، وإنمـــا ظـــل قائماً فى مملكة أشتوريس التى ستعيد هذا السلطان القوطى إلى سابق مجده، باسترداد كافة ما انتزعه المسلمون من أراضيها.

وعلى هذا النحو ربط مؤرخو العصرين الأشتورى والليونى القشتالى بين ماضـــيهم وحاضرهم بروابط وثيقة تقوض ما افترضه ابن خلدون؛ ولا تدع مجالاً للشك فى أن مملكة أشتوريس – ومن بعدها مملكتى ليون وقشتالة- لم تكن إلا امتداداً سياسياً وإثنياً لمملكة طليطلة القوطية.

وإذا ما كان هذا هو واقع مملكة أشتوريس كامتداد سياسى وإثنى لسابقتها مملكـــة طليطلة، فلا نجاوز الواقع إذا ما قلنا أيضاً إنها كانت امتداداً لها فى نظمهـــا وقوانينها، وذلك قياساً على ما كانت عليه دولة بنى أمية فى الأندلس ومملكـــة الكارولنجيـــن فى غالة، اللتان كانت أولاهما إحياء لملك أجدادهم الـــزائل مـــن المشرق، وكانت الأخرى امتداداً لملك أسلافهم الميروفنجيين؛ وبالتالى فلم تكن نظم أى منهما ورسومها إلا امتداداً لنظم أسلافها بدون تبديل إلا فيما فرضته ظروف عصرهما ومتطلباته من مستجدات أو تعديل. وعلى ذلـــك فلـــيس من المنطقى أن تشذ أشتوريس عن هذا التقليد، وبخاصة إذا ما عرفـــنا أن نظـــم طليطلة ورسومها كانت متأصلة فيها، بحكم أنها ظلت أحد

---

(٣٧) Ed. Moreno, 100 p 623. ونـــص عبارته: "Quod etiam ipsi Sarrazeni quosdam prodigiis uel austrorum signis interitum suum adpropinquare predicunt, et gothorum regnum restaurari per hunc nostrum principem dicunt. Etiam et multorum Xpistianorum revelationibus atque ostensionibus hic princebs noster gloriosus domnus Adefonsus proximiori tempore in omni Spanie predicetur regnaturus"؛ أى أن الســـيادة الإسلامية طبقا لكافة التوقعات والتنبؤات كانت على وشك الزوال من البلاد، فى نفس العـــام الذى يكتب فيه مدونته (٨٨٣م) أو فى العام الذى يليه مباشرة، لتعود السيادة القوطية على كامل أراضى ايبيريا، ويصبح الفونسو الثالث – ملك أشتوريس- حاكمها الأوحد.

أقالـيمها علـى مدى قرون سابقة على سقوط طليطلة بالفتح الإسلامى، ولا يعنى سقوطها توقف العمل بنظمها فى أشتوريس، وهى التى ورثت ما تبقى من سلطانها، وإنما استمرت تحكم أوجه أنشطة حياتها وعلى كافة مستوياتها؛ وحسبنا فى ذلك إقرار صاحب مدونة البلدة[٣٨] عرضاً، حين تحدث عن عصر الفونسو الثانى – سابع ملوك أشتوريس– (٧٩١– ٨٤٢م)، بقوله:

"إن مؤسسات بلاطه المدنية والدينية كانت على نفس نمط مؤسسات بلاط طليطلة". كما لا يغيب عن بالنا هنا أيضاً أن قانون طليطلة القوطى Forum Judicum[٣٩] قد ظل مطبقاً هو الآخر فى مملكة أشتوريس، بل وفى الممالك اللاحقة لها حتى نهايات العصور الوسطى، بحيث استمدت منه مملكتا إسبانيا والبرتغال الحاليتين معظم قوانينهما[٤٠]. وعلى ذلك واصلت أشتوريس العمل بنفس نظم سابقتها وعلى رأسها بطبيعة الحال نظام الحكم، بوصفه ركيزة استقرار الدولة ومفتاح التنمية الشاملة، التى تمكنها من إثبات وجودها على

---

(٣٨) Ed. Florez, 13 p 452 chap 58. ونص عبارته: "Omnemque Gothorum ordinem Sicuti Toleto fuerat, tam in Ecclesia, quam Palatio in Oveto cuncta statuit"؛ وهو نفس ما عبرت عنه مدونات: La Cronica de Lucas, ed. Puyol, p. 284; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 73 lib 4 chap 8; La Primera Cronica, op cit, 2 p 348 chap 614

(٣٩) بدأ تدوين هذا القانون على عهد الملك يوريك Euric فى عام ٤٧٥م، ثم أصدر الملك ألاريك الثانى Alaric II فى عام ٥٠٦م القانون المنسوب إليه: Breviarium Alariciarum وهو القانون الذى استند على ما مدونه سلفه وعلى قوانين جستنيان وثيودوسيوس؛ ومن مجموع هذين القانونين مع ما أدخل عليهما من تعديلات وإضافات أصدر الملك رسسفنت Reccesvint القانون القوطى Forum Judicum (Visigothic Code) فى عام ٦٥٤م؛ وإن أدخلت عليه بعض التعديلات خلال عهد خلفائه فقد استمر العمل به حتى الفتح= =الإسلامى. وعن هذا القانون وتطوره بتفصيل انظر: Ziegler A.K, Church and State in the Visigothic Spain, Washington 1930, pp 57- 68; Scott, The Visigothic Code, Philadelphia 1908, pp xxii- xxv; Zeumer Karl, Leges Visigothorum, Monumenta Germaniae Historica, Legum Sectio I, Hanover- Leipzig 1902, I pp xi- xxvii; Aguado Bleye, op cit, I pp 369- 372.

(٤٠) راجع فى ذلك: Altamira, Spain under the Visigoths, The Cambridge Medieval History, London 1913, Vol. 2, chap 6, pp 190- 191; Ziegler, op cit, p 69; Scott, op cit, p xiv.

أرض شبه الجزيرة، وتقرير أحقيتها وحدها فى السيطرة عليها كونها الوريثة الشرعية لطليطلة القوطية.

* * *

وليس الهدف هنا تتبع تفاصيل نظام الحكم فى مملكة طليطلة فلذلك مجال آخـر[٤١]، وإنمـا رصد أهم ملامحه التى أثرت إيجاباً أو سلباً فى مثيله فى مملكة أشتوريس، والتعرف على ما تواصل العمل به أو توقف لتحديد ما كان بين النظامين من روابط. ومما لا شك فيه أن الملكية القوطية كانت فى شكلها القـانونى انتخابـية مـن بين مرشحى الأسر الأرستقراطية، بحيث ما ولى عرشـها علـى امـتداده إلا من كان ينتسب إلى الطبقة الأرستقراطية، ومن فرسـان عصـره ممن يجيدون فنون القتال، وهو شرط أملته ظروف القوط الحربـية منذ فجر تحركاتهم داخل الأراضى الرومانية حتى استقرارهم فى إيبـيريا، بحيـث يـربط القانون القوطى أمن الدولة واستقرارها بمدى قدرة الحـاكم على مواجهة أعداء الداخل والخارج[٤٢]. ولذلك فغالباً ما كان يلقب الحـاكم بالقـائد، على نمط اللقب الرومانى "Magister Militum" أى القائد العسكرى؛ وإن غلب عليه – مع مرور الوقت واستقرار الدولة النسبى– لقب ملك "Rex" الذى صار اللقب الرسمى لملوك القوط حتى سقوط دولتهم بالفتح الإسلامى.

---

(٤١) عن تفاصيل هذا النظام يمكن مراجعة: Dahn, op cit, 6. pp 531- 539; Torres Manuel, el Estado Visigotico, algonos datos sobre su formacion y principios fundamentales de su organizacion politica, Anuario de Historia del Derecho Espanol, Madrid 1926, t3 pp 307- 475; Orlandis Rovira, el Poder Real y la Sucesion al Trono en la Monarquia Visigoda, Cuadernos del Instituto Juridico Espanol, Rome- Madrid 1962, t. 16؛ طرخان، دولة القوط الغربيين، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م، ص ١٢٤– ١٣٥.

(٤٢) The Visigothic Code, ed. Scott, book I, title 2, pp 6- 7.

ومـــن المعلـــوم أيضاً أن مبدأ الانتخاب ظل الأمر السائد المألوف لولاية عرش القوط ، على أن نقطة ضعفه كانت تكمن فى أن حسم الاختيار من بين المرشحين كان من اختصاص مجلس النبلاء من العلمانيين وكبار رجال الدين وحدهم، وهو مجلس غالباً ما افتقر إلى قواعد ثابتة واضحة يضبط بها عملية الاختيار من بين المرشحين، وأفرز أسلوبه فى ممارسة هذا الحق عديداً من الصراعات والحروب بين الأسر المتنافسة على العرش، بحيث اقترن انتقاله مـــن أســـرة إلـــى أخرى، أو بين الإخوة أنفسهم، بسلسلة من الانقلابات أو الحروب الأهلية التى استعدت فيها الأطراف المتنازعة قوى خارجية؛ وكان من جراء ذلك أن فقد القوط نصف عدد ملوكهم – أى سبعة عشر ملكاً– بين قتيل وطريد، فى مقابل ثلاثة فقط فقدوا أرواحهم وهم يدافعون عن البلاد[٤٣]؛ وهو ما اعتبره مؤرخو إيبيريا أحد أبرز مآسى عصر القوط ومثالبه[٤٤].

وإضـــافة إلـــى ذلـــك، فقد كان لصلف الطبقة الأرستقراطية وغطرستها، وتحكم مجلس النبلاء وتنامى نفوذه وإصراره على إبقاء الملكية انتخابية وفى أيـــدى أعضائه وحدهم، أثره الواضح فى إضعاف الملكية وشل أيدى الملوك عـــن تثبيـــت أقدام أسرهم فى الحكم، سواء بتوريثه لأبنائهم أو بإشراكهم فيه تمهـــيداً لتوريثهم. ومع أن مثل هذه المحاولات قد حدثت فى ظروف خاصة ونطاق محدود إلا أنها ظلت أمراً شاذاً، ومن ثم فلم يشهد تاريخ القوط بأكمله انـــتقالاً للعـــرش من الجد إلى الابن ثم إلى الحفيد إلا فى حالتين فقط؛ وفى

---

(٤٣) راجع الملحق.

(٤٤) على سبيل المثال انظر: Estoria de los Godos del Rodrigo, ed. Zabalburu, 88 p 56.

خمـــس حالات أخرى لم يتعد العرش الابن المباشر للملك، كان مصير ثلاثة منهم القتل وطرد الاثنين الآخرين[٤٥].

وكـــان من الطبيعى والحال كذلك ألا تعرف الملكية القوطية حكم النساء؛ ولـــم يحـــدث أن تولـــى عرشها نساء منفردات أو مشتركات مع أزواجهن، والحالة الوحيدة التى أشرك فيها الملك سونتلا (٦٢١- ٦٣١م) زوجته وابنه وأخـــيه – على النسق البيزنطى- ووجهت برد فعل عنيف من مجلس النبلاء حتى إنهم استعدوا أعداءهم الفرنجة وطردوه من العرش، رغم ما عرف عنه أنه أول ملك قوطى يبسط سلطانه وسيادته التامة على كل أنحاء شبه جزيرة إيبيريا.

وعلـــى ذلك يمكن القول إن نظام القوط فشل فى إرساء مبدأ التوريث أو إشـــراك الأبناء، وذلك على عكس نظام الحكم عند أمويى الأندلس وأسلافهم فى المشرق، الذين نجحوا فى إشراك أبنائهم معهم فى الحكم ثم توريثهم إياه[٤٦]. والشـــئ نفسه يقال عن نظام ولاية العرش عند الفرنجة الميروفنجيين ثم الكارولنجيـــن، الذين نجحوا فى تكوين أسر محلية توارثت الحكم فيما بينها، وحال احترام الفرنجة للبيت الميروفنجى دون محاولة أى نبيل الاستيلاء على العـــرش علـــى مدى قرنين ونصف؛ بل لم يوجه أى منهم أطماعه ومنافسته للملـــك أو للملكـــية برغم ضعفها فى عصرها المتأخر، وإنما وجهوها ضد بعضـــهم الـــبعض لمجرد الظفر بمنصب حاجب القصر. وبالمثل ساد نظام

---

(٤٥) راجع الملحق.

(٤٦) راجـــع للباحث: قضية اعتلاء الأمير عبد الله بن محمد عرش الأندلس عام ٢٧٥ هـــ/ ٨٨٨ م، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣١، أكتوبر- ديسمبر ٢٠٠٣ م، ص ١٨٢.

إشـــراك الأبناء فى العرش عند خلفائهم الكارولنجيين تدريباً لهم على الحكم، فكانوا يعينون حكاماً على الأقاليم فى حياة آبائهم[٤٧].

* * *

هـــذا هـــو جوهـــر نظام الحكم الملكى الذى ورثته أشتوريس عن مملكة طلـــيطلة عقب سقوطها بالفتح الإسلامى، ومع ذلك فكان من المستحيل على أشـــتوريس ممارسته بالشكل الذى ورثته به؛ فى ظل تواجد إسلامى متوثب بها- ليستكمل سيطرته على كافة نواحى شبه الجزيرة - وبما يشكل خطورة حقيقـــية على تواجدها وهى لا تزال ناشئة ضعيفة الجانب؛ ومن هنا طوّعت فـــى هذا النظام بما تقتضيه هذه الظروف الحرجة، التى لم يعد العرش فيها مناسباً لحاكم يفتقد القدر الكافى من كفاءة عسكرية، تؤهله للدفاع عن المملكة وحمايـــتها ممـــا يعصف بها من أعاصير؛ وأصبح الفيصل فى الوصول إلى العرش أو الاحتفاظ به هو قدرة الملك الحربية وما يحققه من انتصارات على منافســـيه فـــى الداخـــل وعلى أعدائه فى الخارج؛ وحسبنا أن تنازل سادس ملوكهـــا - بـــرمودة Vermudo- عن عرشه طواعية فى عام ٧٩١م[٤٨]، لم يكن إلا بسبب فشله فى أول تجربة خاضها ضد أعدائه[٤٩]؛ أما من عداه من

---

(٤٧) راجع: طرخان، نفسه، ص ١٣٥.

(٤٨) قارن: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 451 chap 57; Chron. Sebastiani, op cit, 13 p 484 chap 20; une Chronique Leonaise, op cit. 11 p 393 chap 16; chron. Silensis, op cit, 17 p 280 chap 32. حيث يقول: "Siquimdem patentibus totius regni magnatorum conventibus, quum in paternum Solium invitus intronizaretur, post trium annorum circulum desiderato voto satisfaciens, deposito diademate, vice sua Adefonsum Castum, nepotem suum, regem constituit".

(٤٩) وعن ذلك قارن: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، حققه لويس مولينا L. Molina، مدريد ١٩٨٣ م، ١ ص ١٢١؛ ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفى بروفنسال Levi- Provencal، ليدن ١٩٥١م، ٢ ص ٦٣- ٦٤؛ Annales Compostellani, ed. Huici, Las Cronicas Latinas, Valencia 1913, I p 60; Historia Arabum, ed. Sanchez, Anales de la Universidad Hispalense 1974, 21 p 36.

الملـــوك فقد استفاض مؤرخو عصرهم فى الإشادة بفروسيتهم ومهارتهم فى فـــنون الحرب والقتال ، أمثال الفونســـو الأول[٥٠] وابنه فرويلة[٥١] (٧٣٩-٧٦٨م)، والفونسو الثانى[٥٢] (٧٩١- ٨٤٢م)، ثم أردونيو[٥٣] Ordono وابنه الفونســـو الثالـــث[٥٤] (٨٥٠- ٩١٠م)، ولذلك وسعهم كرسى العرش ما بقوا على قيد الحياة إلى أن وافتهم مناياهم؛ واعتزوا هم بدورهم بصفتهم العسكرية واعـــتدوا بها أكثر من اعتدادهم بصفتهم المدنية كملوك؛ ومن ثم فلا غرابة والحـــال كذلـــك أن تخلو مراسيمهم من أى لقب ملكى؛ مثلما هو الحال فى مراســـيم كـــل من الملك سيلو[٥٥] Silo (٧٧٤- ٧٨٤م)، والفونسو الثانى[٥٦]

---

(٥٠) قارن: Chron Sebastiani, op cit, 13 p 481- 482 chap 13; La Primera Cronica, op cit, 2 p 328 chap 575.

(٥١) قارن: Chron Sebastiani, op cit, 13 p 482- 483 chap 16; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 391 chap 11.

(٥٢) انظر: La Primera Cronica, op cit, 2 p 359 chap. 629.

(٥٣) انظر: Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 398 chap. 25.

(٥٤) قارن: Chron Albeldense, op cit, 13 p 437 chap 11; Chron Sampiri, ed. Florez, 14 p 438 chap 1; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 400 chap 31.

(٥٥) أصدره بتاريخ ٧٧٥/٨/٢٣م ليخصص بموجبه قطعة أرض لبناء كنيسة؛ ويبدأ المرسوم بذكر اسم سيلو وينتهى باقراره على أنه صاحب التخصيص ثم يوقع باسمه أيضا على النحو التالى: "Silo anc escritura donacionis manu mea (Sign.)"؛ وعن نص المرسوم انظر: Floriano, op cit, 1 pp 66- 68 (= Risco, Espana Sagrada, 18 p 301 apen 1).

(٥٦) أصدره بتاريخ ٨١٢/١١/١٦م بمناسبة تدشين كنيسة سان سلفادور San Salvador بمدينة أوبييدو العاصمة، حيث بدأ المرسوم باسمه وعلى النحو التالى: "Adefonsus in omnibus et per omnia vernulus famulus"؛ وانتهى بتصديقه وتوقيعه باسمه وبدون أى لقب ملكى أيضا على النحو التالى: "Adefonsus hoc testamentum a me factum confirmans(Sign.)."، وعن نص المرسوم انظر: Floriano, op cit, 1 pp 119- 131 (= Risco, Espana Sagrada, 37 pp 311- 318 apen 7- 8).

وأردونـــيو[٥٧]، إذ بدأ كل منهم مرسومه باسمه الشخصي من غير ديباجة أو مقدمات، فموضوع المرسوم ثم إقراره وتوقيعه باسمه أيضاً وبدون أن يقرنه بـــأى لقـــب وكأنـــه شـــخص عادي؛ بحيث إذا لم يكن القارئ ملماً بتاريخ أشـــتوريس لمـــا أدرك أنه ملك. وقد ظلت هذه الصفة العسكرية طاغية على الصـــفة المدنـــية لملـــوك أشتوريس إلى أن تقوَّت المملكة واستوى عودها، وتعـــدَّت مرحلة الخطر على نفسها وتفوقت على أعدائها، وهو ما تحقق فى فـــترة متأخرة من عصر المملكة وتحديداً مع بداية عهد الفونسو الثالث آخر ملوكها (٨٦٦م)، وحينذاك فقط بدأ اللقب الملكى (Rex) يقترن رسمياً باسمه، بحيـــث لا تخلـــو مـــنه أى من المراسيم السبعة عشر[٥٨] التى أصدرها فى مناسبات متعددة على مدار حكمه، الذى امتد أربعة وأربعين عاماً متصلة.

أما على المستوى الجماهيرى فقد شاع استخدام لقب الملك منذ بداية عهد المملكـــة فـــى مدونـــات مؤرخـــى العصر مثلما سبقت الإشارة، وفى عقود المعـــاملات بين المواطنين الذين اعتادوا ذكر اسم الملك الحاكم وقت التعاقد مقـــروناً إما بهذا اللقب[٥٩]، وإما بلقب أمير "Principe" أو بكليهما معاً، وهو لقـــب لـــم يبدأ استخدامه فى هذه العقود إلا منذ عام ٨١٨م[٦٠]؛ أى فى عهد

---

(٥٧) أصـــدره فـــى ٨٦٠/٦/٢٨م لـــيعهد رئاسة كنيسة Santa Marja Eulalia de ujo للأسقف Frónimio، وعن نصه انظر: Floriano, op cit, 1 pp.297- 298 (= Risco, op cit, 34 p 246).

(٥٨) مؤرخة على التوالى فى ٨٦٦/٦/١٨، ٨٦٧/١/٢٠، ٨٦٩/٤/١٥، ٨٧٤/٢/١٤، بدون تاريخ واضح حوالى عام ٨٨٠، ٨٨٠/٦/٣، ٨٨٣/٩/٢٥، ٨٨٥، ٨٨٦/٤/٢٤، ٨٩٣/٧/٢٥، ٨٩٥/٧/١١، ٨٩٥/١١/٢٥، ٨٩٩/١٢/٣٠، ٩٠٤/١٠/٢٢، ٩٠٥/٣/٣، ٩٠٧/١٠/٢٢، ٩٠٨/٤/٢٨، ٩٠٩م. وعن نصوصها انظر: Floriano, op cit, 2 pp 19- 21, 23, 48, 88- 89, 134- 137, 148- 149, 158- 159, 165- 167, 193- 194, 202- 203, 211- 213, 260- 261, 291- 292, 316- 317, 357- 358, 376- 377.

(٥٩) بـــدأ ظهـــور هـــذا اللقـــب – فيما هو متوفر من وثائق – بداية من عهد فرويلة ثانى ملوك أشتوريس؛ وفى الوثيقة المؤرخة بتاريخ ٧٥٩/٤/٢٤م؛ وعن نصها انظر: Ibid, 1 p 59.

(٦٠) مؤرخة فى الأول من أكتوبر من العام المذكور، وعن نصها راجع: Ibid, 1 p 152.

الفونسو الثانى سابع ملوك أشتوريس مع أن ظهوره فى المدونات ارتبط ببداية عهد المملكة أى منذ عهد الفونسو أول ملوكها (٧٣٩- ٧٥٧م)[٦١]. وبصرف النظر عن التفاوت الزمنى فى ظهور هذين اللقبين فى مدونات العصر الأشتورى ووثائقه، فلم تكن الثنائية فى استخدامهما إلا استمراراً لما درج عليه ملوك طليطلة، الذين تلقبوا بأى منهما أو بكليهما معاً[٦٢]؛ مثلما هو وارد فى بنود مجمع طليطلة الخامس التى أشارت إلى الملك شنتلا Chintila (٦٣٦- ٦٤٠م) على أنه: [٦٣] "glorioso principi nostro Chentilano regi ،أى أميرنا العظيم الملك شنتلا.

والملاحظ أن ملوك أشتوريس لم يقتصروا على اقتباس هذين اللقبين عن أسلافهم ملوك طليطلة، وإنما تعدوهما إلى اقتباس ألقابهم التشريفية أيضاً لا سيماً لقبى: العظيم (المبجل) "Glorioso"[٦٤]، والسيد "Domini"[٦٥]؛ اللذين ترددا فى وثائق أشتوريس على مدار عهد مملكتها؛ وإن استخدما خلال عصر الفونسو الثالث آخر ملوكها فى صيغة التفخيم أى: "Gloriosissimo"[٦٦]، و "Dominissimo"[٦٧]، وهو تفخيم كان انعكاساً لظروف عصره الذى

---

(٦١) راجع على سبيل المثال: Cron Rotense, op cit, 100 pp 120.

(٦٢) راجع فى ذلك: Dahn, op cit, 6 pp 518- 523.

(٦٣) Patrologiae Latina, op cit, 84 p

(٦٤) أقدم وثيقة ورد فيها هذا اللقب مؤرخة فى ٧٥٩/٤/٢٤م أى فى عهد فرويلة ثانى ملوك أشتوريس، فقد أشارت إليه بما نصه: "id est gloriosi Floriolanis Regis"، انظر: Floriano, op cit, 1 p 59.

(٦٥) أقدم وثيقة ظهر فيها هذا اللقب مؤرخة فى ٧٩٦/١٠/١٨م أى فى عهد الفونسو الثانى سابع ملوك أشتوريس؛ وعن نصها انظر: Ibid, 1 p 93.

(٦٦) ورد فى وثيقة مؤرخة فى ٨٧٠/٩/١٧م؛ بما نصه: "tibi gloriosissimo principe nostro Adefonso"، وعن نصها انظر أيضاً: Ibid, 2 p 65.

(٦٧) ورد فى وثائق متعددة هى المؤرخة فى تاريخ غير معلوم من عام ٨٧٨م، ٨٧٨/٦/٦م، ٢٤/١٠/٨٨٩م؛ وعن نصوصها انظر على التوالى: Ibid, 2 pp 124, 127, 179.

اتســعت فــيه مملكته وعظم ملكه[٦٨]، فعلا نجمه بوصفه أعظم حكام الغرب الأوربــى بعدمــا تدهــورت مكانة ملوك الفرنجة من الكارولنجيين وأمراء الأندلــس مــن بنى أمية، بحيث لقبته وثائق عصره بسيد السادة "Domini Dominissimi"[٦٩]؛ ولــم يجد هو حرجاً فى أن يلقب نفسه فى أحد مراسيمه بالسيد الأعظم "Domini Gloriosissimus"[٧٠]. وعلى هذا النحو كان أول ما اقتبسه ملوك أشتوريس عن أوائل أسلافهم تقاليدهم فى انتقاء ملوكهم من ذوى الكفاءة الحربية، إضافة إلى ألقابهم التى تلقبوا بها.

زد علــى ذلــك أن الظــروف العامة كانت مواتية لملوك أشتوريس كى يطــوروا فــى نظــام حكــم أسلافهم القائم على الانتخاب المثير للنزاعات والصــراعات، الــتى كثيراً ما عصفت بدولتهم بين الحين والآخر؛ إذ كانت ظروف ملوك أشتوريس – لا سيما الحربية– تملى عليهم ضرورة إيجاد بديل لهــذا المــبدأ الانــتخابى يضمنوا به قدراً أكبر من الاستقرار الداخلى، كى يــتفرغوا لمواجهة الخطر الإسلامى المتربص بهم؛ ومن الواضح أنهم أقروا المــبدأ الوراثى سمة النظام الملكى السائد وقتذاك على مستوى العالم، سواء فى الشرق حيث يوجد البيزنطيون وجيرانهم العباسيون، أو فى الغرب حيث الفرنجة فى غالة، إضافة إلى أمويى الأندلس فى داخل إيبيريا ذاتها.

وتجــدر الإشارة هنا إلى أن نجاح ملوك أشتوريس فى هذا التحول، وفى إرساء مبدأ طالما عجز أسلافهم عن تحقيقه على مدار نحو ثلاثة قرون خلت، إنمــا يرجع بالدرجة الأولى إلى ما حظى به الدوق بطرس وأسرته معه من

---

(٦٨) ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال، ط ٢، بيروت ١٩٥٦ م، ٢ ص ٣٢٤.

(٦٩) انظر على سبيل المثال نص وثيقتى ٨٧٨/٦/٦م، ٩٠٩/٤/٢٨م، Floriano, op cit, 2 p127, 378.

(٧٠) وهو المؤرخ فى ٩٠٧/١٠/٢٢م، انظر: Ibid, 2 p 358.

احترام العامة والخاصة على السواء، لتفانيهم فى مدافعة المسلمين ومناوأتهم، وتوفيقهم فى الحفاظ على استقلال بلادهم؛ ولذلك فما أن توفى بطرس إلا وأقيم ابنه الأكبر الفونسو على عرشه بدون خلاف أو منازعة[٧١]؛ إذ لم يكن يوجد - على حد تعبير مؤرخ مسلم - من هو أولى منه بهذا الملك[٧٢]. ومنذ ذلك الحين لم يخرج العرش عن ذرية الفونسو أو ذرية أخيه فرويلة أو من ينتسب إليهما فقط ، وهو ما تجمع عليه وثائق المملكة ومصادرها التاريخية، بحيث انتقل العرش حين وفاة الفونسو إلى ابنه فرويلة (٧٥٧- ٧٦٨م)، ومنه إلى ابن عمه أوريليو Aurelio (٧٦٨- ٧٧٤م)، ثم إلى سيلو صهر الفونسو وزوج ابنته (٧٧٤- ٧٨٤م)، فموريجاتو Mauregato ابن الفونسو (٧٨٤- ٧٨٨م)؛ ومنه عاد ثانية إلى فرع فرويلة بتولية ابنه برمودة (٧٨٨- ٧٩١م)، فالفونسو الثانى حفيد الفونسو الأول (٧٩١- ٨٤٢م)، ثم عاد بعد وفاته مرة ثالثة إلى فرع فرويلة ليستقر فيه حتى نهاية عهد المملكة، أى طوال مدة حكم راميرو Ramiro ابن برمودة (٨٤٢- ٨٥٠م) فابنه أردونيو (٨٥٠- ٨٦٦م) فحفيده الفونسو الثالث(٨٦٦- ٩١٠م)[٧٣] الذى انتهت المملكة بوفاته، وبذلك تناوبت ذريتا الفونسو وأخيه فرويلة على العرش على نحو يذكرنا بانتقال عرش بنى أمية فى المشرق بين الفرعين السفيانى والمروانى.

---

(٧١) انظر: Cron. Rotense, op cit, 100 p 615 (= Cron. Alfonso III, op cit, pp 115- 116 chap. 13; Une Redacion Inedite, ed. Barrau- Dihigo, 23 p 252 chap 13). حيث تشير جميعها إلى هذا الإجماع على الفونسو قائلة: "Quo mortuo (Petrus) ab universo populo Adefonsus eligitur in regno"؛ وانظر أيضا: La Cronica de Lucas, ed. Puyol,. P 279; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 390 chap 9.

(٧٢) ابن الخطيب، نفسه، ٢ ص ٣٢٣.

(٧٣) راجع الملحق.

وعلى الرغم من وضوح التسلسل الوراثى فى الملكية الأشتورية، فقد افترض بعض الباحثين المحدثين[٧٤] أنها ظلت انتخابية كسابقتها مملكة طليطلة، واستندوا فى ذلك إلى أن بعض مؤرخى أشتوريس الأوائل قد استخدموا لفظ "Eligitur" أى اختير أو انتخب حين إشارتهم إلى كل من برمودة خلفاً لموريجاتو وراميرو خلفاً لألفونسو الثانى[٧٥]؛ إلا أن هذا لا ينهض دليلاً على صحة افتراضهم، لأن استخدامهم هذا اللفظ وفى هاتين الحالتين فقط لم يكن إلا بمفهومه الضيق القاصر على انتخاب أى انتقاء من هو مرشح للعرش من داخل الأسرة البطرسية، وذلك استناداً إلى أن كلاً من موريجاتو والفونسو الثانى قد توفيا بدون وريث، واقتضى الأمر اختيار من يخلفهما من بين أفراد أسرتهما؛ ولو كان استخدامهم إياه بمفهومه الواسع أى الانتخاب من بين مرشحين للعرش على طريقة مملكة طليطلة لما استبدلوه بلفظ "Successit" أى خلف، حين إشارتهم إلى انتقال العرش فى بقية الحالات الأخرى، وهى التى بلغت ثمانى حالات حتى نهاية المملكة[٧٦]؛ وهو الأمر الذى يقطع بأن الملكية الأشتورية كانت وراثية داخل الأسرة البطرسية، ولم تعد بحال من الأحوال انتخابية كما كانت مملكة طليطلة.

---

(٧٤) أمثال: Martinez Marina, Ensayo Historica- Critico sobre la Legislacion de los Renios de Leon y Castilla, 2nd ed. , Madrid 1834, 1 pp 83- 84; M. Colmiero, De la constitucion y del Gobierno de los Renios de Leon y Castilla, Madrid- Santiago 1855, 1 pp 195- 200; Dozy, Recherches sur L' Histoire et la Litterature de L' Espagne pendant le Moyen Age, 3rd ed. , Paris- Leyden 1881, 1 pp 145- 146; E. Mayer, op cit, 2 p 3; Sanchez Albornoz, La Sucesion al Torno en los Rienos de Leon y Castilla, 14 p 43 Sqq.

(٧٥) قارن فى ذلك: Chron. Sebastiani, op cit, 13 p 484 chap 20, p 486 chap 23; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 393 chap 16, p 396 chap 21.

(٧٦) راجع: Chron. Sebastiani, op cit,13 p 482 chap 16, p 483 chap 18, p 487 chap 25.

ويعكس نظام التتابع على عرش أشتوريس على النحو السابق مرونة ملوكها فى مواكبة متغيرات عصرهم؛ إذ من الواضح أنهم لم يتمسكوا بقصر التوريث على الأبناء وحدهم، وإنما توسيعه على نطاق الأسرة البطرسية ككل أى فى فرعى الفونسو وأخيه فرويلة، ما لم يكن الأبناء فى سن تؤهلهم للحكم وبالكفاءة الحربية المطلوبة لظروف واقعهم الجديد، بحيث لم يحدث أن خلف الابن أباه مباشرة إلا مرات معدودات لم تجاوز الثلاث: هى خلافة فرويلة لأبيه الفونسو الأول فى عام ٧٥٩م، وخلافة أردونيو لأبيه راميرو فى عام ٨٥٠م، وأخيراً خلافة الفونسو الثالث لأبيه أردونيو فى عام ٨٦٦م. وفيما عدا هذه الحالات الثلاث إما أن يتوفى الملك بدون وريث يخلفه مثلما حدث حين وفاة كل من أوريليو[٧٧] وسيلو[٧٨] وموريجاتو فالفونسو الثانى[٧٩]؛ وإما أن يتوفى عن أبناء صغار دون سن الحكم، كما توفى فرويلة ابن الفونسو الأول عام ٧٦٨م تاركاً طفلاً باسم الفونسو وهو الذى سيعرف فيما بعد بالفونسو الثانى[٨٠]؛ وإما يتنازل عن العرش مثلما تنازل برمودة بن فرويلة فى عام ٧٩١م تاركاً هو الآخر طفلين هما راميرو وغرسية Garcia[٨١]؛ وفى مثل هذه الحالات حتمت ظروف المملكة تأجيل تولية هؤلاء الأبناء

---

(٧٧) انظر: La Cronica de Lucas, ed. Puyol, p 282; Cron Rotense, op cit, 100 p 617.

(٧٨) انظر: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 451 chap 55 حيث تنص على أنه لم ينجب من أدوسندا أى أبناء قائلة: "Prolem nullus dimisit Adosinda Filium non genuit"؛ وانظر أيضا: Cron. Rotense, op cit, 100 p 617; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 393 chap 14; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 72 lib 4 chap 7.

(٧٩) لم تشر المدونات أو الوثائق إلى أى ذرية لهما، مما يعنى أنهما توفيا دون عقب.

(٨٠) انظر: Une Redaction Inedite, op cit, 23 p 254 chap 16; Cron. de Alfonso, op cit, p 118 chap 16 (= Cron Rotense, op cit, 100 p 616).; Chron, Silensis, op cit, 17 p 277 chap 27. إذ يقول: "Unde uxorem nomine Monniam accipiens, genuit ex ea filium, cui nomen patris sui imposuit Aldefonsum".

(٨١) انظر: Chron. Sebastiani, op cit, 13 p 484 chap 20; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 73 lib 4 chap 7; Chron. Mundi, ed. Schott, 4 p 74; La Primera Cronica, op cit, 2 p 347 chap 611.

العرش إلى أن يبلغوا السن المؤهلة للحكم، ليتولاه من هو مؤهل له سواء من ذرية الفونسو أو ذرية أخيه فرويلة، ومن هنا جاء تناوب هذين الفرعين على العرش على مدار عمر المملكة.

ويقودنـــا هذا التأجيل إلى تساؤل عن السن التى أجيزت لولاية العرش فى أشتوريس، وهو تساؤل ليست الإجابة عنه سهلة، إذ لم يحدد القانون القوطى ســناً معينة واكتفى بأن اشترط ضرورة توافر الكفاءة الحربية فيمن يتولاه، ضماناً لتحقيق أقصى درجات الأمان ضد الأخطار الداخلية والخارجية، تاركاً لأولـــى الأمـــر تقديـــر هذه السن، بحيث إن ملوك طليطلة لم يجيزوا تولية عرشهم لمن هم دون سن الرابعة عشرة[٨٢]؛ أما ملوك أشتوريس فقد رفعوها على ما يبدو إلى سن الثامنة عشرة وذلك استناداً إلى أمرين: أولهما أنها السن الـــتى أجيز فيها الفونسو الثالث آخر ملوك أشتوريس للعرش[٨٣]، والآخر أن الفونســـو الثانى سابع ملوكها لم يكن قد جاوز عامه السادس أو السابع على

---

(٨٢) راجـــع بتفصيل: P. Guilhiermoz, Essai sur L' Origine de la Noblesse en France au Moyen Age, Paris 1902, pp 409- 410

(٨٣) انظـــر: Chron. Albeldense, op cit. 13 p 453 chap 61، ونـــص عبارته: "Adefonsus filius ejus XVIII ... Istum in primo flore aduleccentiae, primo que regni anno et suae nativitatis XVIII ..". ؛ وإن كـــان غـــيره من المؤرخين يشيرون إلى أنه اعتلى العرش وعمره ثلاثـــة عشر عاماً (Chron. Silensis, op cit, 17 p 284 chap 39; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 400 chap 30)؛ أو أربعـــة عشـــر عامـــاً (Cron. de Lucas, ed. Puyol, p 298; Chron. Sampiri, op cit, 14 p 438 chap 1; Chron Lusitanum, ed. Florez, 14 p 403; La Primera Cronica, op cit, 2 p 367 chap 643) ؛ فـــيرجع هذا الاختلاف إلى احتسابهم السنوات الأربع التى حكم فيها إقليم جليقية فى حياة أبيه ضمن سنوات حكمه؛ فى حين احتسب مؤرخ البلدة عمره من تاريخ اعتلائه العرش منفرداً بعد وفاة أبيه، راجع فى ذلك: Risco, Espana Sagrada, 37 pp 210- 211; A.C. Cotarelo, Historia Critica y Documentada de la Vida y Acciones de Alfonso III, Madrid 1933, pp 105- 107.

أكثر تقدير حين وفاة أبيه فرويلة (٧٦٨م)[٨٤]، فاستبعد من العرش ليتولاه ابن عمه أوريليو فأمضى فيه ست سنوات حتى توفى فى عام ٧٧٤م، ولم يكن الفونسو قد جاوز الثانية عشرة أو الثالثة عشرة بعد، فتم تأخيره للمرة الثانية بتولية سيلو صهر الفونسو الأول، فأمضى فيه هو الآخر عشر سنوات حتى توفى فى عام ٧٨٤م، وحينذاك كان الفونسو قد بلغ الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، وتجاوز بذلك السن المؤهلة بنحو أربع إلى خمس سنوات فتمت توليته، وإن اغتصب العرش منه آنذاك ولم يعد إليه ثانية إلا بعد سبع سنوات أخرى هى مدة حكم موريجاتو ثم برمودة؛ الذى تنازل له فى عام ٧٩١م مثلما سبقت الإشارة. ولا شك هنا أيضاً فى أن راميرو ابن برمودة لم يكن قد بلغ السن المتعارف عليها وقتذاك وإلا لتنازل له والده بدلاً من أن يتنازل لألفونسو، ولم تتهيأ الفرصة لراميرو فى اعتلاء عرش أبيه إلا حينما توفى الفونسو فى عام ٨٤٢م، أى بعد إحدى وخمسين سنة كاملة، ولم تطل مدة ولايته لأكثر من ثمانى سنوات إذ توفى فى عام ٨٥٠م، وهو الأمر الذى يدلل على أنه كان دون سن الثامنة عشرة بكثير حين اعتزل والده الحكم.

وقد بلغ من مرونة ملوك أشتوريس فى تطويع نظامهم لضرورات عصرهم وظروفه الحرجة، أنهم لم يتشددوا فى قصر وراثة عرشهم على سلالتهم البطرسية وحدها، وإنما أجازوها لمن ينتسب إليهم بصلة قوية فى أوقات الأزمات والمآزق السياسية، كالتى حدثت عقب وفاة الملك أوريليو عام ٧٧٤م بدون وريث، وفى وقت لم يوجد فيه من هو مؤهل للعرش من السلالة

---

[٨٤] تزوج فرويلة أميرة بشكنسية من إقليم ألبة فى أعقاب انتصاره على ثورة هذا الإقليم أواخر عام ٧٦٠م، وبالتالى يمكن افتراض ولادة ابنه الفونسو إما فى نهاية عام ٧٦١م أو بدايات العام الذى يليه (٧٦٢م)؛ وعن زواج فرويلة راجع للباحث: الحروب الصليبية، ص ٣٤٤ والمراجع المعطاة.

أكثر تقدير حين وفاة أبيه فرويلة (٧٦٨م)[٨٤]، فاستبعد من العرش ليتولاه ابن عمه أوريليو فأمضى فيه ست سنوات حتى توفى فى عام ٧٧٤م، ولم يكن الفونسو قد جاوز الثانية عشرة أو الثالثة عشرة بعد، فتم تأخيره للمرة الثانية بتولية سيلو صهر الفونسو الأول، فأمضى فيه هو الآخر عشر سنوات حتى توفى فى عام ٧٨٤م، وحينذاك كان الفونسو قد بلغ الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، وتجاوز بذلك السن المؤهلة بنحو أربع إلى خمس سنوات فتمت توليته، وإن اغتصب العرش منه آنذاك ولم يعد إليه ثانية إلا بعد سبع سنوات أخرى هى مدة حكم موريجاتو ثم برمودة؛ الذى تنازل له فى عام ٧٩١م مثلما سبقت الإشارة. ولا شك هنا أيضاً فى أن راميرو ابن برمودة لم يكن قد بلغ السن المتعارف عليها وقتذاك وإلا لتنازل له والده بدلاً من أن يتنازل لألفونسو، ولم تتهيأ الفرصة لراميرو فى اعتلاء عرش أبيه إلا حينما توفى الفونسو فى عام ٨٤٢م، أى بعد إحدى وخمسين سنة كاملة، ولم تطل مدة ولايته لأكثر من ثمانى سنوات إذ توفى فى عام ٨٥٠م، وهو الأمر الذى يدلل على أنه كان دون سن الثامنة عشرة بكثير حين اعتزل والده الحكم.

وقد بلغ من مرونة ملوك أشتوريس فى تطويع نظامهم لضرورات عصرهم وظروفه الحرجة، أنهم لم يتشددوا فى قصر وراثة عرشهم على سلالتهم البطرسية وحدها، وإنما أجازوها لمن ينتسب إليهم بصلة قوية فى أوقات الأزمات والمآزق السياسية، كالتى حدثت عقب وفاة الملك أوريليو عام ٧٧٤م بدون وريث، وفى وقت لم يوجد فيه من هو مؤهل للعرش من السلالة

---

[٨٤] تزوج فرويلة أميرة بشكنسية من إقليم ألبة فى أعقاب انتصاره على ثورة هذا الإقليم أواخر عام ٧٦٠م، وبالتالى يمكن افتراض ولادة ابنه الفونسو إما فى نهاية عام ٧٦١م أو بدايات العام الذى يليه (٧٦٢م)؛ وعن زواج فرويلة راجع للباحث: الحروب الصليبية، ص ٣٤٤ والمراجع المعطاة.

البطرسية بعامة، سوى نبيل قوطى كانت كل مؤهلاته أنه زوج ابنة الفونسو أول ملوكهـــا؛ وبـــرغم حداثة هذه المصاهرة التى كانت لا تزال فى عامها الخامس، فقد كانت السبب الوحيد – مثلما يؤكد مؤرخو أشتوريس- لارتقائه عرش خلفاً لأوريليو[٨٥]، بدون أن يعترضه احتجاج أو معارضة حتى توفى بعـــد عشرة أعوام كاملة أمضاها فى الحكم، وعاد العرش بعدها إلى السلالة البطرسية بتولية الفونسو الثانى حفيد سميه الأول؛ وكان قد شب وقتذاك عن الطوق فصار مؤهلاً للحكم.

ومـــع أن هـــذا المـــأزق السياســـى يمثل حالة فريدة لم تتكرر فى تاريخ أشتوريس حتى نهاية مملكتها، فقد أرسى أحد ثوابت نظام الحكم المعمول بها منذ أيام ملوك طليطلة، أى رفض مبدأ الوصاية على العرش، بحيث لا يتولاه إلا من كان فى سن تؤهله، سواء من فرعى السلالة البطرسية أو من ينتسب إلـــى أى مـــنهما، وهـــو مـــبدأ حادت عنه فيما بعد مملكة ليون نتيجة تغير ظروفها، مثلما هو معلوم عند المتخصصين فى هذا المجال.

* * *

والـــذى لا شك فيه أن مثل هذه المرونة قد انعكست بالإيجاب على عرش أشـــتوريس، فصـــار أكثر استقراراً من عرش سلفه الطليطلى، ولم يشهد ما شـــهده من صراعات ونزاعات دامية، اللهم إلا فى حالتين طارئتين: إحداهما هى اغتيال فرويلة ثانى ملوكها فى عام ٧٦٨م، قصاصاً منه لقسوته ودمويته

---

(٨٥) قارن فى ذلك: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 451 chap 54; Chron. Sebastiani, op cit, 13 p 483 chap 18; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 393 chap 14; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 72 lib 4 chap 7; La Primera Cronica, op cit, 2 p 343 chap 601, p 344 chap 603؛ ونص مدونة البلدة – على سبيل المثال- كما يلى: "Suoque tempore [Aurelio] Silo, Futurus Rex, Adosindam Froilae Regis sororem, Conjugem accepit, Cum qua postea regnum obtinuit".

المفرطة، وليس منافسة له لانتزاع عرشه؛ وذلك على عكس الحالة الأخرى التى كانت ولا شك اغتصاباً للعرش، حينما وثب موريجاتو ابن الفونسو الأول على ابن أخيه الملك الفونسو الثانى فى عام ٧٨٤م؛ ولم يكن قد مضى على توليته سوى أيام معدودات، فانتزع عرشه وفرض نفسه على مدى أربع سنوات كاملة حتى وافته منيته فى عام ٧٨٨م[٨٦]. ومع ذلك فلم يكن لأى من هاتين الحادثتين تأثير جدى على استقرار العرش، بحيث تعاقب عليه من كان يتم إعداده ليتولى هذه المهمة من فرعى الأسرة البطرسية دون مشاكل أو قلاقل تذكر حتى نهاية المملكة؛ وبذلك حالف التوفيق ملوك أشتوريس – أكثر من أسلافهم ملوك طليطلة- فى تحقيق قدر لا بأس به من الاستقرار الداخلى لمملكتهم، والتفرغ لمواجهة أخطار الخارج التى ضربوا فيها هى الأخرى بسهم يعتد به.

وليس من قبيل المبالغة القول بأن هذا التوفيق يرجع فى جانب كبير منه إلى اهتمام ملوك أشتوريس الفائق بإعداد خلفائهم من الأبناء أو الأشقاء أو حتى من بنى الأعمام وتأهيلهم، وتدريبهم على شئون الحكم والإدارة، لا سيما الارتقاء بقدراتهم الحربية باعتبارها أخص مهام العرش وأخطرها طوال عهد المملكة؛ وهو اهتمام لا يمارى فيه كل من يدقق فى وثائق المملكة ومصادر تاريخها، بحيث لا يظهر له الفونسو أول ملوكها (٧٣٩- ٧٥٧م) فى أى من نشاطاته العسكرية إلا ومعه شقيقه فرويلة فى ميدان القتال.

---

[٨٦] عن تفاصيل هاتين الحالتين راجع للباحث: الحروب الصليبية، ص ٣٤٤- ٣٤٥، ٣٥٢ والمراجع المعطاة.

كما تظهر مشاركته له جلية فى كافة شئون الحكـم[٨٧]. أما الملك سيلو (٧٧٤- ٧٨٤م) فقـد اسـتعان بالفونسـو الثانى ابن أخى زوجته وعهد إليه بإدارة شئون بلاطه[٨٨] وبتسيير أمور الدولة بعامة؛ بحيث لم يكن ببعيد عما كان يصدره سيلو من قرارات، ولو كان قراراً بتخصيص قطعة أرض لبناء ديـر، مـثلما هو واضح من مرسومه الذى أصدره فى الثالث والعشرين من أغسـطس عام ٧٧٥م، المذيل بإقرار الفونسو والممهور بتوقيعه وذلك على الـنحو الآتـى: "Adefonsus confirmans (Signum)"[٨٩]. وقد ظل الفونسو يتمتع بهذه المكانة المميزة خلال عهد الملك برمودة (٧٨٨- ٧٩١م) أيضاً إذ اعـتمد علـيه فى تدبير كافة شئون الدولة[٩٠]، إلى أن تنازل له عن العرش حينما تأكدت كفاءته لتولى هذه المسئولية مثلما سبقت الإشارة.

---

(٨٧) انظر: Chron. Silensis, op cit, 17 p 276 chap 26; p 280 chap 32، حيث ينص فى الصفحة الأولى على: "Rex constituitur exercitum cum Froila saepius movens, quam plurimas a barbaris oppressas Civitates bellando Cepit: Ecclesias, nefando Mahometis nomine remoto, in nomine Christi consecrari fecit" ويضيف فى الصفحة الأخرى ما نصه: "Igitur Froila Petri cantabrorum Patricii Ducis generosa proles cum germano Fratre Alfonso Catholico, atque Regno socio, armas contra barbaros crebro arripiens..... ab eorum sacrilego dominio eripuit". وانظر أيضا: Cron. de Alfonso III, op cit, p 116 chap 13 (= Cron. Rotense, op cit, 100 pp 615- 616); Chron: Sebastiani, op cit, 13 pp 481- 482 chap 13 (= Une Redaction Inedite, op cit, 23 p 252- 253 chap 13); Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 390 chap 9; Rerum in Hispania, op cit, 2 pp 71- 72 lib 4 chap 5; La Primera Cronica, op cit, 2 p 330 chap 580.

(٨٨) انظر: Cron. de Alfonso III, op cit, p 120 chap 18 (= Cronica Rotense, op cit, 100 p 617)، إذ تنص جميعها على: "qui dum iste regnaret Adefonsus Froilani filius, nepus Adefonsi majoris, guuernavit quia Silo ex coniuge Adosinda filium non genuit". وانظر أيضا: Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 393 chap 14; Chron. Mundi, ed. Schott, 4 p 74; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 73 lib 4 chap 5; La Primera Cronica, op cit, 2 p 344 chap 603.

(٨٩) عن نصه انظر: Floriano, op cit, 1 pp 66- 68، وانظر الملاحق عن صورته الضوئية.

(٩٠) انظـر: La Primera Cronica, op cit, 2 p 345 chap 607,p 347 chap 612، وإن اختلط عليه الأمـر فـى تحديد مدة حكم برمودة بست سنوات منها، اثنتان منفردا وأربع مع الفونسو؛ والواقع أنه لم يحكم سوى ثلاث سنوات فقط.

وقد تواصل هذا التقليد بقية عهد المملكة، إذ اعتمد الملك راميرو (٨٤٢-٨٥٠م) على كل من ابنه أردونيو وشقيقه غرسية Garcia، فأشركهما معه فى تسيير أمور الدولة[٩١] إلى أن توفى وخلفه ابنه أردونيو، الذى اختص ابنه الأكبر الفونسو (الثالث) بالرعاية والتدريب على أمور الإدارة والحكم المتنوعة؛ بهدف إعداده لخلافته على العرش[٩٢]؛ ثم عينه حاكماً على مدينة أوبييدو العاصمة مثلما يستدل من وثيقتين حررهما دييجو Diego كونت إقليم قشتالة إحداهما فى الخامس من مارس عام ٨٦٣م والأخرى فى الثانى من مايو من العام الذى يليه، اللتين تنصان على أنه كان وقتها حاكماً للمدينة بقولهما: " Regnante principe rege nostre Adefonso inOveto".[٩٣]. وقد ظل الفونسو شاغلاً هذا المنصب حتى ارتقى العرش خلفاً لأبيه فى منتصف عام ٨٦٦م، فلم يشذ عما سنَّه أسلافه من تقليد؛ لكنه وإن أشرك أبناءه الخمسة فى بعض المهام ذات الطابع الدينى العام على مدار

---

(٩١) قارن: Rerum in Hispania, op cit, 2 p 76 lib 4 chap 13; Chron. Mundi, ed. Schott, 4 p 77. إذ ينص أولهما على: "Aderant autem cum rege (Ranimiro) Garsias Frater eius... quem rex Ranimirus tanta benignitate fovebat, quod et tanquam seipsum diligeret, et participem faceret regini sui". أما ثانيهما فينص على: "Praesentes quoque erant Ordonius Filius Regis Ramiri et Garsias Frater Regis, que amba reges dicebantus... Siquidem rex Ramirus tante benignitatis erat, ut fratrem (Garsiam) tanquem seipsum diligeret et participem faceret regini".

(٩٢) قارن: Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 400 chap 30; Chron. Silensis, op cit, 17 p 284 chap 39. إذ تنص الأخيرة على: "Erat enim Adefonsus unicus domni Ordonii Regis filius, quem patrici pater ad ome regendi regni utilitatem studiose educavirat, Quo advecto, eum totius regni magnatorum coetus, sumo cum Consensu ac favore patri successorem fecerunt".

(٩٣) عن نصهما انظر: Floriano, op cit, 1 pp 317- 318, 321- 324.

حكمـــه، مثلما تدلل تسعة من مراسيمه[٩٤]؛ فإن أهم ما يستشف منها هو ميله إلـــى ابنه أردونيو وتقديمه إياه على بقية أبنائه واستحضاره فى كل أعماله، بحيـــث لا تخلو أى من هذه المراسيم من إقرار أردونيو وتوقيعه، وذلك على عكـــس بقـــية أشـــقائه الذيـــن تفاوت إقرارهم عليها؛ وهو ميل تفسره أيضاً الـــروايات التاريخـــية الـــتى تؤكـــد أن الفونســـو اختصه من دونهم بالمهام الدبلوماســـية ذات الشأن، كالتى قام بها إلى حلفاء أبيه من زعماء بنى قسى بالـــثغر الأندلسى الأعلى، للتباحث معهم فى أمر الصلح المرتقب مع الأمير الأندلســـى[٩٥]؛ كما عهد إليه بحكم إقليم جليقية Galicia[٩٦] وهو الإقليم الذى استقل بحكمه وأعلن نفسه ملكاً عليه بعد وفاة أبيه فى عام ٩١٠م.

بقـــى أن نشـــير هنا إلى أن أشتوريس لم تعترف – مثلما هو واضح من تسلسل ملوكها– وكسابقتها مملكة طليطلة بنظام تولية النساء أو إشراكهن فى الحكـــم؛ أو الـــتدخل فى شئونه وتقرير مستقبل العرش؛ وذلك إذا ما استثنينا أدوسندا Adosinda زوجة الملك سيلو (٧٧٤– ٧٨٤م) التى قدر لها – بحكم أنها ابنة مؤسس المملكة – أن تلعب دوراً لا يشك فيه، لحمل زوجها على أن يعهـــد بـــإدارة شئون القصر إلى الفونسو (الثانى) ابن أخيها فرويلة؛ لا سيما

---

(٩٤) وهى المؤرخة فى: ٨٧٥/٧/١٠، ٨٨٦/٤/٢٤، ٨٩٣/٧/٢٥، ٨٩٥/٧/١١، ٨٩٥/١١/٢٥، ٨٩٩/١٢/٣٠، ٩٠٤/١٠/٢٢، ٩٠٧/١٠/٢٢، ٩٠٩/٤/٢٨م، وعن نصوصها انظر على التوالى: Floriano, op cit, 2 pp 103- 104, 165- 167, 193- 194, 202- 203, 211- 213, 260- 261, 291- 292, 357- 358, 376- 377.

(٩٥) Chron. Albeldense, op cit, 13 p 455 chap 67 (= ed. Huici, 1 p 172). إذ يقول: "Tunc Ababdella, ipse qui Mahomat Ibn Lupi, qui semper noster fuerat amicus, sicut et pater ejus, ob invidiam de suis tionibus, cui rex filium suum Ordonium ad creandum dederat, cum Cordobensibus pacem fecit".

(٩٦) قارن: Chron. Silensis, op cit,17 p 286 chap 42; Chron. Mundi, ed. Schott, 4 pp 80- 81; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 81 lib 4 chap 21; La Primera Cronica, op cit, 2 p 363 chap 670; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 401 chap 33.

أنهـا هـي التي تولت تربيته وتنشئته منذ اغتيال أبيه في عام ٧٦٨م، حتى صار منها بمثابة الابن كونها لم تنجب من زوجها مثلما سبقت الإشارة؛ ومن ثـم فلم تعدم وسائل للتأثير على زوجها[٩٧]، وكانت على يقين بأنه لن يخيب رجاءها لأن وصوله إلى العرش لم يكن إلا بسبب ارتباطه بها، وبذلك مهدت لابـن أخـيها طـريق العرش دون غيره من أفراد الأسرة. ثم يتبدى تدخلها المباشـر فـي أمور الحكم ومدى تأثيرها على كبار رجال الدولة، الذين لم يقدمـوا علـى تقريـر مصـير العرش عقب وفاة زوجها إلا في حضورها وتواجدها[٩٨]، بحيث يمكن القول إن قرارهم بتولية ابن أخيها خلفاً لزوجها لم يكن إلا تعبيراً عن إرادتها وتلبية لرغبتها. لكن ما أن تمت إجراءات تنصيب الفونسـو حـتى اعتزلت أدوسندا الحياة المدنية بعامة، حسبما يقضي التقليد القوطـي المتوارث بأن تنتظم أرملة الملك في سلك الزهبنة[٩٩]، فانزوت إلى دير سان جوان San Juan، الذي كان قد أقامه زوجها في مدينة برافيا Pravi، لتقضي فيه ما بقي من عمرها، وبانزوائها ينزوي أي دور نسائي في شئون الحكم بقية عمر المملكة.

---

(٩٧) "Adefonsus autem filius; ونصها: Rerum in Hispania, op cit, 2 p 72 lib 4 chap 7، Froilae et momentae propter Odisindam amicam Suam regale palatium gubernabat, et Silonius negotia procurabat, quia Silo de prole ex Odisinda despernas iners fiebat". وانظر أيضا: La Primera Cronica, op cit, 2 p 344 chap 603.

(٩٨) انظر: Chron Sebastiani, op cit, 13 p 484 chap 19، ونصها: "Silone defuncto Regina Adosinda cum omni officio Palatino Adefonsus filium fratris sui Froilani Regis in solio constituerunt paterno". وقارن أيضا: Cron. Rotense, op cit, p 617; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 72 lib 4 chap 7; Estoria de los Godos, ed. Zabalburu, 88 p 67; La Primera Cronica, op cit, 2 p 344 chap 605; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 393 chap 15.

(٩٩) عن هذا التقليد راجع: Dahn, op cit, 6 p 523; Martinez Marina, op cit, 1 pp 86- 87؛ وقد أكدت المادة الخامسة من قرارات مجمعي طليطلة الثالث عشر (٦٨٣ م) وسرقسطة الثالث (٦٩١م) وجوب مراعاة هذا التقليد، وعن نص هذه المادة راجع: Sanchez Albornoz, Origenes de la Nacion Espanola, Oviedo 1974, 2 p 358 no 20.

على أن ذلك لم يمنع – كعادة كل عصر – زوجات ملوك أشتوريس من أن يتلقبن بلقب ملكة "Regina" ويظهرن مع أزواجهن فى المناسبات العامة، ويشاركنهم فى الأنشطة العامة لا سيما الدينية والخيرية وما شابه ذلك؛ بدون أن يكون لهن – بطبيعة الحال – نصيب فى الحكم أو فى القرارات السيادية. لكن الملاحظ على مثل هذه المشاركات أنها ظلت فى حدود ضيقة للغاية بما يتناسب مع محدودية أنشطة المملكة حتى نهاية عهد الملك أردونيو فى عام ٨٦٦م، بحيث لا يصادف المرء فى مصادر تاريخ المملكة أو فى نقوشها ووثائقها سوى مشاركة باترنا Paterna زوجها الملك راميرو، فى تأسيس كنيسة سانت ماريا دل نارنكو Santa Maria del Naranco بالعاصمة أوبييدو فى الثالث والعشرين من شهر يونيو عام ٨٤٨م، مثلما يدل نقش تأسيسها(١٠٠). أما منذ بداية عهد الفونسو الثالث آخر ملوك أشتوريس فقد تنامت مشاركات زوجته خيمينا Ximena وتعددت بما ناسب تعدد أنشطة المملكة فى عهده، فظهرت إلى جانبه فى نقش تجديد وتوسيع كنيسة سان سلفادور San Salvador بالعاصمة أيضاً(١٠١)، وفى نقش صليب النصر الذى ينص على أنه صنع بتعليمات الملك وزوجته(١٠٢)؛ كما ظهرت معه على رأس المشاركين من كبار رجال الدولة – علمانيين ودينيين – فى احتفالية افتتاح كنيسة سانتياجو Santiago بمدينة كمبوستلا Compostella بعد تجديدها الشامل فى حوالى عام

---

(١٠٠) عن نصه كاملا انظر: Vigil, op cit, 1 p 219; Hubner, Supplementum, p 114 no 483؛ إذ ينص على: "qui per famulum tuum Ranimirum, principe gloriosum cum Paterna Regina Coniuge enovasti hoc habitaculum nimia vetustate Consumptum".

(١٠١) عن نصه كاملا انظر: Vigil, op cit, 1 pp 7- 8; Hubner, Inscriptiones, p 84 no 259؛ وينص على: Risco, Espana Sagrada, 37 p 216. "Adefonsus Princeps....Hanc Aedificari Sancsit Municcinem cum Coniuge Scemena...".

(١٠٢) يحمل الصليب نقشا على ظهر أذرعه الأربعة، والنص التالى يظهر على ذراعه الأعلى: "Fumula Christi Adefonsus Princeps Et Scemena Regina"، انظر: Vigil, op cit, 1 p 18; Risco. op cit, 37 pp 220- 221; Hubner, Inscriptiones, p 80 no 249.

٨٨٩م[١٠٣]؛ أمـا فـي العـام الذى يليه فقد شهدت جلسات المجلس الذى عقده زوجهـا مع كبار رجال دولته بمدينة أوبييدو، لرفع كنيستها سان سلفادور إلى مرتـبة الأسـقفية[١٠٤]؛ كمـا شاركت زوجها فى تخصيص ضياع وممتلكات لمؤسسات دينية من أديرة وكنائس، مثلما تدل خمسة من مراسيمه مؤرخة فيما بين عامى ٨٨٣ و٨٩٥م[١٠٥] ، أى على مدار اثنتى عشرة سنة؛ إذ يظهر فيها اسـمها مقـترناً باسم زوجها فى ديباجة كل مرسوم كجهة مانحة، وبصيغة لا تتغـير وكأنهـا مصـطلح قـانونى، وذلـك على النحو الآتى: "In nomini Adefonsus rex et Exemena regina"؛ كمـا يقترن تصديقها وتوقيعهـا على كل مرسـوم بتصديـق وتوقيـع زوجها على النحو الآتى أيضاً:

"Adefonsus rex manu mea confirmo et Scemena regina confirmo".

وعلى هذا النحو تنوعت نشاطات خيمينا وتعددت، واكتسبت بسببها شهرة هيأت أذهان ممالك إيبيريا اللاحقة لأشتوريس – مع عوامل أخرى ولا شك – لأن تتقبل حكم النساء، وسبقت مملكة ليون غيرها من الممالك فى أن تبدأ هذا التقلـيد حيـنما ارتقت الملكة أوراكا Urraca عرشها فى عام ١١٠٩م؛ تلتها مملكـة نـبارة Navarra مع اقتراب نهايات القرن الثالث عشر بتولية الملكة جوانـا Juanna عرشـها فى عام ١٢٧٤م؛ وأخيراً مملكة قشتالة مع اقتراب

---

(١٠٣) انظر: Chron. Sampiri, ed. Florez, 14 p 442 chap 9 (= ed. Huici, op cit, 1 p 254) ، حيث ينص على: "Igitur, auxiliante domino, venit rex ad statutum diem cum uxore sua et filiis et cum praedictis episcopis et cum universes potestatibus, sive et cum suscriptis comitibus..".

(١٠٤) انظر: Chron. Sampiri, op cit, 14 p 443 chap 10 (= ed. Huici, op cit, 1 p 258)؛ ونصـها: "Transactis itaque xi mensibus praedictus rex una cum uxore et .....potestatibus venerunt Ovetum ad Celebrandum Concilium"، وانظر أيضا: Rerum in Hispania, op cit, 2 p 80 lib 4 chap 18.

(١٠٥) أولها مؤرخ فى ٨٨٣/٩/٢٥م، وثانيها فى تاريخ غير واضح من عام ٨٨٥م، وثالثها فى ٨٨٦/٤/٢٤م، ورابعها فى ٨٩٣/٧/٢٥م، أما خامسها فمؤرخ فى ٨٩٥/١١/٢٥م؛ وعن نصوصها انظر على التوالى: Floriano, op cit, 2 pp 148- 149, 158- 159, 165- 166, 193- 194, 211-212.

القرن الخامس عشر من نهايته، حينما تولت الملكة إيزابيلا Isabella عرشها في عام ١٤٧٤م.

* * *

وإذا كانت وثائق أشتوريس وروايات مؤرخيها الأوائل لم تفصح عن وسائل ملوك أشتوريس في ممارسة سلطاتهم، أو في إدارة شئون مملكتهم؛ فإن ما أوردته من إشارات عفوية متفرقة لا تدع مجالاً للشك في أنهم أحاطوا أنفسهم – كأسلافهم ملوك طليطلة– بطائفة من الأتباع والمقربين من علية القوم، على هيئة حاشية أو مجلس يعاونهم في رسم السياسة العامة للمملكة، وفي تصريف شئونها المتعددة؛ إذ من المؤكد أن ما جاء في روايات مؤرخي أشتوريس الأوائل من مصطلحات عارضة، مثل: Officii Palatini أي هيئة البلاط ، و Magnati Palatii أي عظماء البلاط ، و Senatu Ovetensi أي مجلس شيوخ أوبييدو؛ إنما تشير ولا شك إلى مجلس بلاط أشتوريس، خاصة أن هذه المصطلحات قد وردت في رواياتهم – مثلما هو واضح – مرتبطة بالبلاط الملكي تارة وبالعاصمة أوبييدو تارة أخرى؛ وفي مناسبات لا يظهر فيها إلا المجلس الملكي بوصفها من صميم إختصاصاته؛ فقد ارتبط المصطلحان الأول والثاني بنبأ توافد أعضاء هذه الهيئة إلى القصر الملكي عقب وفاة الملك الفونسو الأول (٧٣٩م)، لتلقى على جثمانه نظرة الوداع الأخيرة[١٠٦]؛ ثم بنبأ ذلك الاجتماع الطارئ الذي عقدته هذه الهيئة عقب وفاة الملك سيلو (٧٨٤م)، لتقرير مصير العرش بعده مثلما سبقت الإشارة[١٠٧]؛

---

(١٠٦) راجع: Une Redaction Inedite, ed. Barrau- Dihigo, 23 p 253 chap 15. ونصها: "Cum Spiritum emisisset intempestae noctis silentio, et curiales officii Palatini corpus custodissent". وانظر أيضاً: Chron. Sebastiani, op cit, 13 p 482 chap 15; Cron. Rotense, op cit, 100 p 616; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 391 chap 10.

(١٠٧) راجع هامش رقم (٩٨).

أمـــا المصطلح الثالث فقد ورد بمناسبة ما اتخذته هذه الهيئة من تدابير كفلت إحـــباط محاولـــة الانقلاب التى باغتت الملك الفونسو الثالث وهو فى مطلع عهده (٨٦٦م)[١٠٨].

ومن ناحية أخرى، تؤكد الشواهد أن هذا المجلس لم يكن إلا امتداداً لسابقه مجلس طليطلة Aula Regia (Palatium) من حيث تشكيله من فئتين، إحداهما دينية من كبار رجال الدين والأخرى مدنية من نبلاء البلاط وكبار موظفيه؛ وهـــو ما يستدل عليه من مراسيم ملوك أشتوريس التى لا يخلو أى منها من إقرارات أعضاء هاتين الفئتين؛ كما يستدل عليه من محاضر مجلسى أوبييدو اللذين انعقدا فى عهد الملكين الفونسو الثانى (٧٩١- ٨٤٢م) والفونسو الثالث (٨٦٦- ٩١٠م)؛ فأولهمـــا يحـــوى قائمة بأسماء رجال الدين المشاركين فيه إضافة إلى تصديقهم بالتوقيع على قراراته[١٠٩]؛ أما الآخر فيحوى كذلك قائمة بأسمائهم وأسماء النبلاء من كبار رجال المملكة[١١٠].

وقـــد بلغ التشابه بين نبلاء مجلس أوبييدو وأسلافهم نبلاء مجلس طليطلة أنهم كانوا من فئة الكونتات (Comites)، ويتوزعون مثلهم إلى ثلاث طبقات؛ وقـــد ضـــمت الطبقة الأولى أصدقاء الملك ومقربيه، الذين أطلق عليهم فى العصر القوطى لقب Consiliarii Regis باعتبارهم كانوا مستشارى الملك، أو لقب Magnati أى العظماء، وهو اللقب الذى غلب عليهم فى أشتوريس وتردد

---

(١٠٨) Chron. Sampiri, op cit, 14 p 438 chap 1; La Cronica de Lucas, ed. Puyol, p 368 chap 645؛ وينص ســـامبيرو على: "Ipse Vero nefandus Froila a Senatu Ovetensi interfectus est"

(١٠٩) راجع فى ذلك: Risco, Espana Sagrada, 37 pp 295- 301.

(١١٠) راجع فى ذلك: Risco, op cit, 37 pp 301- 302; Chron. Sampiri, op cit, 14 p 442 chap 9; La Primera Cronica, op cit, 2 p 381 chap 664; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 80 lib 4 chap 18; La Cronica de Lucas, op cit, pp 303- 304.

استخدامه فى مصادرها. فى حين ضمت الطبقة الثانية أتباع الملك ومواليه Fideles Palatii (Regis)، وهم الذين عرفوا فى العصر القوطى باسم Gardingi، ثم غلب عليهم – منذ القرن العاشر فصاعداً – اسم Militus Palatii (Regis) أو Caballeris Regis أى فرسان البلاط (الملك)[١١١]؛ وعليهم وقعت مسئولية تأمين الملك وعرشه فينهضون إليه وقت الشدة، مثلما حدث مع الملكين الفونسو الثانى[١١٢] وسميه الثالث[١١٣] حيث أنجدتهما وأعادتهما إلى عرشهما، إثر الانقلاب الذى أطاح بكل منهما فى بدايات عهده. أما الطبقة الثالثة فكانت من ذوى السلطة أى رؤساء دوائر البلاط ، الذين أنيط إليهم متابعة تنفيذ ما يقرره المجلس من سياسات، كل فى دائرة اختصاصه مدنية كانت أو عسكرية أو حتى دينية.

وهنا يبرز أمامنا تساؤل عن مدى التشابه بين دوائر بلاطى أوبييدو وطليطلة؟ أم أنها اختلفت عنها لاختلاف العصر؟. وبداية فإنه يصعب على المدقق فى وثائق أشتوريس ومصادرها التاريخية أن يقتفى أثراً لأى من دوائر بلاط طليطلة تكون قد انتقلت إلى بلاط أوبييدو فيما عدا دائرتين، أولهما دائرة الحرس الملكى التى يدلل على وجودها مرسوم لألفونسو الثالث

---

(١١١) راجع فى ذلك: O' Callaghan, A History of Medieval Spain, USA 1975, p 169.

(١١٢) وعن تفاصيل ذلك راجع: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 451 chap 58 (= ed. Moreno, 100 p 602); Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 394 chap 17. وتنص على: "Inde a quodam Teudane, vel aliis fidelibus reductus, regnique Obeto est culmine restitutus"؛ وراجع أيضا: Rerum in Hispania, op cit, 2 p 73 lib 4 chap 8; La Primera Cronica, op cit 2p 347 chap 613.

(١١٣) وعن تفاصيل ذلك راجع: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 453 chap 61 (= ed. Moreno, 100 p 604)؛ وتنص على: Chron Lusitanum, op cit, 14 p 403. "Ipso Froilane tyranno et infausto Rege a fidelibus nostri Perincipis Oveto interfecto".

مـــؤرخ فـــى العاشـــر من يوليو عام ٨٧٥[١١٤]، ومذيل بإقرارات وتوقيعات رجال دين ونبلاء ومن بينهم نبيل يدعى كلياكوس Quiliacus، الذى أقر عليه ووقع بصفته Strator؛ وهو منصب كان – مثلما هو معلوم – امتداداً لمنصب قائد الحرس الملكى Comes Spatariorum (Stabuli) فى العصر القوطى. أما الأخرى فهى دائرة التوثيق الملكى المنوطة بإعداد المراسيم الملكية وحفظها، وهى دائرة تدلل عليها ستة من المراسيم الملكية مؤرخة فيما بين عامى ٨٥٦ و ٩٠٥م[١١٥]، وجمـــيعها يحوى إقرارات وتوقيعات خمسة من رجال الدين ممن تولوا منصب رئاسة هذه الدائرة خلال تلك المدة؛ وجاء إقرار كل منهم وتوقيعه على المرسوم بصفته الموثق (الكاتب) الملكى Comes Notariorum، وهـــو منصب احتل صاحبه فى بلاط طليطلة – ثم فى بلاط أوبييدو – أهمية بالغة بصفته كاتم أسرار المملكة.

ومع ذلك فلا يخامرنا شك فى أن يكون بلاط أوبييدو قد شهد – إلى جانب هاتين الدائرتين – كثيراً من دوائر بلاط طليطلة؛ لا سيما الدائرة التى تولاها كونت المالية Comes Thesaurorum، ودائرة الأملاك الملكية التى اختص بها كونـــت الأمـــلاك الملكية Comes Patrimonii، إضافة إلى حامل لواء الملك

---

(١١٤) عـــن نصه انظر: Floriano, op cit, 2 pp 103- 104، إذ ورد إقراره وتوقيعه على النحو التالى: ."Quiliacus Strator (Signum)"

(١١٥) المرسوم الأول مؤرخ فى ٨٥٦/٥/٢٠م، وأقر عليه Aspidius ووقع بما نصه: "Aspidius Presbyter Notarius"؛ والمرسوم الثانى مؤرخ فى ٨٧٤/٤/٢٤م، وقد أقر عليه Felix ووقع بما نصه: ."Felix qui notuit conf"؛ والمرسوم الثالث مؤرخ فى٨٧٥/٧/١٠م وأقر عليه Flalanis ووقع بما نصه:"Flalanis notarius (Signum)."؛ والمرسوم الرابع مؤرخ فى٨٧٨/٦/٦م وأقر عليه Argimirus ووقع بما نصه: "Argimirus Notarius qui assertor fuit de parte Domini Indiscli Episcopi manu sua scripist."؛ أما المرسومان الخامس والسادس فهما بتاريخ ٨٨٣/٨/١٧م و ١٣/١١/٩٠٥م،وأقرعليهما Possidonius ووقع بما نصه: "Possidonius notrarius qui hanc testamentum scrip ts. signum؛وعن نصوص هذه المراسيم انظرعلى التوالى: Floriano, op cit, 1 pp 270- 271; 2 pp 88- 89, 103- 104, 127- 129, 144- 146, 326- 329.

وقائد قواته المعروف بلقب (Alfarez) Armiger، إلى غيرها من دوائر[١١٦]. ذلك أن غياب المعلومات عن مثل هذه الدوائر فى مصادر تاريخ أشتوريس ووثائقها، لا يؤخذ بالضرورة دليلاً على اختفائها من بلاط أوبييدو، نظراً لطبيعة هذه المصادر والوثائق التى لم يكن نظام البلاط أو دوائره ضمن اهتماماتها بالمرة؛ وما أوردته عنهما من إشارات خضع للعفوية وأملته مناسبة ما بدون أن تكون الإشارة مقصودة لذاتها، على النحو الذى سبقت الإشارة إليه. يضاف إلى ذلك أنه من غير المنطقى أن تغيب دائرة كدائرة الأملاك الملكية من بلاط أوبييدو، فى وقت كانت تتزايد فيه هذه الأملاك باضطراد، نتيجة تقدم حركة الاسترداد وما واكبها من استعادة ملوك أشتوريس أراض كانت فى حوزة المسلمين ثم آلت إلى ملكيتهم، ومن ثم منحوا حق استغلالها وتعميرها – مثلما تدل كثير من مراسيم العصر – لمن شاءوا من الأفراد أو الهيئات؛ وهو ما استتبع بالضرورة إيجاد دائرة تتولى مثل هذه الأعمال. كما لا يتوقع أن يخلو هذا البلاط من دائرة للمالية تنظم إيرادات الدولة ونفقاتها، وتوفر السيولة المالية اللازمة للنشاطات الحربية المتواصلة التى يندر أن يخلو منها عهد أى من ملوك أشتوريس؛ إلى غير ذلك من الدوائر التى كان يقتضيها تسيير أمور المملكة وقتذاك.

وإذا ما كانت ظروف مملكة أشتوريس، على مدار القرن الثامن كله، تفرض علينا التسليم بأن دوائر بلاطها لم تماثل إدارات بلاط طليطلة فى تنوعها أو تعقيداتها، بحكم صغر مساحة المملكة وضيق رقعتها وقلة مواردها وضعف إمكاناتها، وما استتبعه ذلك من إمكان الاستغناء عما لم تكن الحاجة تدعو إليه

---

(١١٦) لمزيد من التفاصيل عن نظام بلاط طليطلة ودوائره الحكومية راجع: Dahn, op cit, 6 pp 106- 107, 338- 340, 549- 550; Aguado Bleye, op cit, 1 pp 367- 368; Danham, The History of Spain and Portugal, London 1832, 4 p 50.

مـــن دوائـــر وقـــتذاك؛ فعلينا فى المقابل التسليم بأن بعض ما استبعد من هذه الدوائر قد أعيد العمل به منذ بدايات القرن التاسع عشر فصاعدا، تحت ضغط متطلـــبات التوســـع التدريجى للمملكة، وتنوع نشاطاتها وتعقد إدارتها، تعقداً لم يجـــد معه الفونسو الثانى (٧٩١- ٨٤٢م) بداً من أن يعيد هيكلة جهاز بلاطه برمـــته؛ وعلـــى نحو جعل به إداراته المدنية والدينية تطابق ما كانت عليه فى بلاط طليطلة، على حد تعبير مؤرخى أشتوريس الأوائل[١١٧].

ومـــع ذلـــك، فيـــبدو أن دوائر بلاط طليطلة لم تكن كافية كى تستوعب متطلـــبات ملـــوك أشتوريس أو تلبى كل احتياجاتهم، إذ استجدت فى بلاطهم وظـــائف لـــم يعرفها القوط ، وإنما اقتبست من الفرنجة الذين كانت علاقتهم بملـــوك أشـــتوريس قد بدأت مع أواخر القرن الثامن؛ ويأتى على رأس هذه الوظـــائف وظيفة الحاجب (محافظ القصر) Major Domus، التى يدلل على وجودهـــا فى بلاط أوبييدو – ولأول مرة فى تاريخه – وثيقتان تشيران إلى شخصـــين تولـــياها خـــلال عـــام ٨٨٣م[١١٨]، هما سرازينوس Sarracenus وإرمجـــيلدوس Ermegildus، وهما اللذان امتد إشرافهما على إدارة ممتلكات الـــتاج إلـــى جانب الإشراف على كافة شئون البلاط . ثم وظيفة كونت بلاط Comes Palatii الـــتى لا تزال مهام صاحبها فى أشتوريس غامضة لندرة ما ورد عـــنها من إشارات لا تسمح إلا بالتعرف على أسماء بعض من تولاها خـــلال عهد الملكين الفونسو الثانى وراميرو (٧٩١- ٨٥٠م)، مثل: نبوقيانو

---

(١١٧) راجع هامش رقم (٣٨).

(١١٨) مؤرخـــتان فى ٨/١٧ وفى ٩/٢٥ من عام ٨٨٣م، ويقر سرازينوس ويوقع على الأولى بما نصه: "Sarracenus maiordomus test."؛ فى حين يقر إرمجيلدوس على الثانية ويوقع عليها بما نصه: "Ermegildus maiordomus conf."؛ وعن نص الوثيقتين انظر على التوالى: Floriano, op cit, 2 pp 144- 146, 148- 149.

Nepociano وألدريوتـــو Alderioto وبنيولو Piniolo[١١٩]؛ الذين ربما كانوا كونـــتات من غير ذوى المناصب – مثلما كانت الحال عند الفرنجة – ممن تقتصـــر مهمـــتهم على تنفيذ ما يكلفهم به الملك من مهام طارئة محددة؛ قد تكـــون قضائية كالتى تولاها الكونت ألويتوس Comes Aloitus، وهى مهمة نـــص عليها فى حكمه القضائى الذى أصدره باسم الملك الفونسو الثانى فى الأول مـــن أكـــتوبر عام ٨١٨م[١٢٠]، أو قد تكون إشرافاً على تعمير أراض استردت من المسلمين كما فى حالة الكونت لوكيديو Comes Lucidio، الذى يظهـــر فـــى وثـــيقة مؤرخة فى الحادى عشر من يناير عام ٧٨٠م، مسئولاً مفوضاً من الملك الفونسو الثالث فى إعادة تعمير منطقة براجا بإقليم جليقية[١٢١]، أو قد تكون تنفيذاً لأوامر وأحكام قضائية ملكية كالتى تدلل عليها وثائق مؤرخة فى الخامس من يوليو عام ٨٦١م[١٢٢]، وفى الثالث عشر من ديسمبر عـــام ٨٦٣م[١٢٣]، وفـــى السادس من يوليو عام ٨٧٨م[١٢٤]، وفى السابع من

---

(١١٩) انظر عنهم على سبيل المثال: Chron. Sebastiani, 13 pp 486- 487 chap 23- 24; Cron Rotense, ed. Moreno, 100 pp 618, 619; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 76 lib 4 chap 13.

(١٢٠) إذ يـــنص علـــى أنه تولاها بتكليف من الملك الفونسو قائلا: "Per ordinationem domni Adefonsi Principis concessi ego iam nominatus Aloitus.." كمـــا يـــنص فى إقراره على المرسوم أنه جاء من أشتوريس لهذه المهمة، وعن نص المرسوم انظر: Floriano, op cit, 1 pp 151- 153.

(١٢١) إذ تشير الوثيقة إلى أنه: "edificavimus istius domum in nostra villa que presimus cum corum et albende Adefonsus prncipem et Comite Lucidii..." وعـــن نص الوثيقة انظر: Floriano, op cit, 2 pp 53- 55.

(١٢٢) حكـــم قضائى لصالح كنيسة براجا نفذه السايو جولفميروس، الذى يظهر توقيعه وصفته فى الوثيقة على النحو التالى: "Gulfemiruss unde Saio fui (Signum)."؛ وعن نص الوثيقة انظر: Floriano, op cit, 1 pp 307- 308.

(١٢٣) حكـــم قضائى لصالح كنيسة Santa Maria del Puerto نفذه السايو ربليو الذى ينص على: "Sic fui ego Rebelio ad obeto, et pro tessera domni Nepotiani misi ipsos fratres in placito qui erant possessors in ipso loco Castello, per Saionem caloratum...". وعـــن نصها انظر: Floriano, op cit, 1 pp 319- 320.

ديسمبر عام ٨٨٥م[١٢٥]، وهى التى يظهر منها أيضاً أن متولى تنفيذ هذه الأحكام القضائية كان يلقب بالسايو Saio.

وعلى هذا النحو تجاوز بلاط أوبييدو بساطته الأولى فتعددت دوائره وتنوعت، وتعقدت إداراته التى تطعمت بمؤثرات فرنجية إلى جانب المؤثرات القوطية الموروثة عن مملكة طليطلة.

* * *

ظلت مساحة أشتوريس طوال القرن الثامن حتى منتصف القرن الذى يليه ضيقة محصورة، فيما بين ساحل خليج بسكاى شمالاً وجبال كنتبرية جنوباً؛ وهى مساحة كان فى إمكان دوائر بلاط العاصمة إدارتها وتسيير أمورها دونما حاجة إلى دوائر محلية فيها؛ ولذلك فلا غرابة أن تخلو وثائق تلك الفترة ومصادرها التاريخية من أدنى إشارة قد توحى بتواجد تنظيم إدارى فى أى من نواحى المملكة، سوى دوائر البلاط الملكى فى العاصمة مثلما سبقت الإشارة.

على أن الوضع تبدل مع منتصف القرن التاسع فصاعداً، وبدأت المملكة تشهد توسعاً فيما يلى جبال كنتبرية فى اتجاه الأندلس جنوباً، حتى وصلت بحدودها الفعلية ضفاف نهر دويرة، وبلغت بذلك ضعف حجم مساحتها الأولى؛ وتمثلت إشكالية هذه المساحة المضافة فى أن أشتوريس كانت قد تركتها وقت ضعفها وقلة إمكاناتها خالية مهجورة من مظاهر العمران، لتكون

---

(١٢٤) حكم قضائى ملكى لصالح أسقف أستورقة نفذه السايو دانتوم، الذى ينص على: "Post haec ordinaverit supradicti Judices per Sajonem Dantum filium Arbori placitum conscribere roborare et firmare"؛ وعن نصها انظر: Floriano, op cit, 2 pp 127- 129.

(١٢٥) حكم قضائى لصالح كنيسة Adrian بمنطقة ليبانا نفذه السايو جوليوليس، مثلما يظهر توقيعه على النحو التالى: "Iuliulesus presbiter ubi sait (sic) fui"؛ وعن نص الوثيقة انظر: Floriano, op cit, 2 pp 161- 162.

ظهيراً دفاعياً طبيعياً متقدماً يعرقل قدر الإمكان الهجمات الأندلسية ويقلل من مخاطـــرها. أمـــا وقد صارت هذه المساحة المترامية تحت السيطرة الفعلية لأشـــتوريس فقـــد كـــان ولابد من إعادة إعمارها وتوطينها وتنظيم استغلال مواردهـــا الزراعية الغنية؛ ناهيك عن ترسيم حدودها الجديدة مع امتداد نهر دويرة، وتزويدها بما يلزمها من حصون وقلاع ومرابطة وغيرها من وسائل الدفاع لا سيما أنها باقترابها من الثغور الأندلسية صارت أيسر منالاً عن ذى قـــبل. ولا شك فى أن مثل هذه المهام كانت تفوق طاقة دوائر البلاط الملكى، واســـتلزم الأمـــر استحداث نظام يكفل مباشرتها؛ وهو ما تكشف عنه وثائق العصـــر ومصادره التى تدلل على أن المملكة قد شهدت آنذاك تنظيماً إدارياً جديداً، قُسِّمت أقاليم المملكة بموجبه إلى كونتيات وعلى رأس كل منها كونت (Comes) Comite بوصـــفه نائباً عن الملك فى مباشرة كافة شئونها المدنية والعسكرية؛ مثلما كانت عليه الحال فى مملكة طليطلة[١٢٦].

وأوفـــر مـــا ورد من إشارات فى وثائق العصر ومدوناته ارتبط بكونتية قشـــتالة Castella الواقعة بالطرف الجنوبى الشرقى من المملكة، ربما بسبب خطـــورة موقعهـــا كأقـــرب الكونتيات إلى ثغور الأندلس؛ لا سيما الثغرين الأوســـط بقاعدته طليطلة والأعلى بقاعدته سرقسطة، ومن ثم أهميتها الفائقة فـــى تأمين المملكة من هذه الجبهة الملتهبة، بحيث صار لحاكمها مكانة تعلو مكانـــة أقرانه من حكام الكونتيات الأخرى. ومن هنا كانت الكونتية الوحيدة التى قدمت الوثائق ثبتاً يكاد يكون كاملاً بأسماء من تتابعوا على حكمها حتى نهايـــة عهد المملكة. ويأتى على رأسهم الكونت رودريك Rodericus الذى يـــبدو أنـــه ظـــل فـــى منصبه عشرين عاماً كاملة، شملت معظم عهد الملك

---

(١٢٦) عن الإدارة المحلية فى عهد القوط انظر: Dahn, op cit, 6 pp 321- 360.

أردونيو وشطراً من عهد ابنه وخليفته الفونسو الثالث، وتحديداً فيما بين عامى ٨٥٣م و٨٧٣م؛ إذ تشير إليه ثلاث وثائق - مؤرخة على التوالى فى أعوام ٨٥٣م و ٨٥٥م و٨٦٢م - بصفته كونتاً على قشتالة بما نصه: "Regnante Rodericus Comite in Castella" [١٢٧]؛ ثم يظهر فى تاريخ لاحق كأحد الشهود الموقعين على المرسوم الملكى الصادر عام ٨٦٧م، وتأتى شهادته وإقراره عليه بصفته كونتاً أيضاً وبما نصه: "Rodericus Comes testis" [١٢٨]؛ فى حين تدلل وثيقة خامسة مؤرخة فى الثامن عشر من أبريل عام ٨٧٣م على أنه كان على قيد الحياة ومتولياً مهام منصبه حتى ذلك التاريخ، بل ترد شهادته عليها لاحقة لاسم الملك الفونسو وسابقة على شهادة غيره دليلاً على علو مكانته، وذلك على النحو الآتى: "Regnante rex Adefonso in Oveto, et comite Rodrice et Senior Sarrazin Muunnioz testes" [١٢٩].

أما الروايات الإسبانية فتدلل هى الأخرى على تواجده خلال تلك الفترة كونتاً على قشتالة، ثم تلقى الضوء على بعض مهامه العسكرية والمدنية إذ تقدمه فى عام ٨٥٩م على رأس قواته القشتالية وهو يقتحم مدينة طلمنكة

---

[١٢٧] الوثيقة الأولى مؤرخة فى ٨٥٣/٧/٤م، لإعادة بناء كنيستى سان مارتين دى بونتاكر San Martin de Pontacer وسان فران San Ferran وتعمير ضواحيهما؛ والثانية مؤرخة فى ٤/٧/ ٨٥٥م لتجديد كنيستى سان رومان San Roman وسان بدرو دى دونديسلا San Pedro de Dondisla وتعمير نواحيهما أيضا؛ وأما الثالثة ففى تاريخ غير محدد من عام ٨٦٢م، وهى قرار رودريك بأن تتولى كنيسة سان مارتين دى فلابيو San Martin de Flabio الإشراف على ما يجاورها من كنائس. وعن نصوص هذه الوثائق انظر على التوالى: Floriano, op cit, I pp 248- 249, 265- 266, 316.

[١٢٨] مرسوم ملكى لألفونسو فى ٨٦٧/١/٢٠م يعيد به ضيعة مغتصبة إلى ملكية أسقفية إيريا Iria بإقليم جليقية؛ وعن نصها انظر: Floriano, op cit, 2 pp 23-24.

[١٢٩] خاصة بتأسيس دير سان استبان San Esteban فى ضاحية سالكيدو Salcedo بقشتالة، وعن نصها انظر: Floriano, op cit, 2 pp 76- 77.

Talamanca الأندلسية، فيدمرها ويأسر حاميتها ويسترق سكانها[١٣٠]، مع أنها كانت – بنص الرواية الإسلامية – "حصينة منيعة لا ترام"[١٣١]؛ ثم تقدمه مرة أخرى فى العام الذى يليه (٨٦٠م) وهو يباشر إعادة إعمار مدينة أماية Amaya وتحصينها – أشهر مدن إقليمه– وبتعليمات مباشرة من الملك أردونيو[١٣٢].

ثم تكمل الرواية الإسلامية الصورة عن رودريك تأكيداً بما أشارت إليه – حين حديثها عن تفاصيل الهجوم الأندلسى على أراضى إقليمه فى عام ٨٦٥م – قائلة: "ولم يبق لرذريق صاحب القلاع ، ولا لردمير صاحب توقة، ولا لغندشلب صاحب برجة، ولا لقومس صاحب مسانقة، حصن من حصونهم إلا وعمَّه الخراب..... ثم قصد (القائد الأندلسى) الملاَّحة، وكانت من أجلّ أعمال رذريق، فحطم ما حواليها وعفا آثارها. ثم تقدم يؤم الخروج على فج

---

(١٣٠) انظر: Anales Castellanos I, ed. Gomez Moreno, Discursos leidos ante la Real Academia de la Historia de Madrid 1917, p 23، فتنص على: "Era Dccclxii Rudericus comes.....et fregit Talamanca"، وهى حملة أشارت إليها المدونات الإسبانية الأخرى وإن اكتفت بالقول أنها تمت فى عهد الملك أوردونيو، دون ذكر لردريك، قارن على سبيل المثال: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 453 chap 60; Chron. Sebastiani, op cit, 13 p 489 chap 26; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 77 lib 4 chap 14.

(١٣١) انظر: مجهول ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد ١٩٨٣م، ١ص ٥٠- ٥١؛ وهى من بناء الأمير محمد بن عبد الرحمن على نهر شرنبة أحد أودية التاجة، وتبعد عشرين ميلا من مدينة وادى الحجارة، لتكون ثغراً لأهل طليطلة؛ قارن فى ذلك: الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت ١٩٨٤م، ص ٣٩٣؛ ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود مكى، بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٣٢؛ ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، تحقي ق شوقى ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٥٥م، ٢ ص ٤٢.

(١٣٢) انظر: Cron Burgense, ed. Florez, 23 p 308; Annales Compostellani, ed. Florez, 23 p 318 apen 5؛ ونصها: "Era Dccclxvii populavit Rodericus Comes Amaya per mandatum Regis Ordonii". وانظر أيضا: Anales Castellanos I, op cit, p 23; Annales Complutenses, ed . Huici, 1 p 40؛ وإن كانت مدونة: Cron de Cardena, ed Huici, 1 p 373، تحدده مرة بعام ٨٥٦م ومرة أخرى بعام ٨٨٢م، فالتاريخ الأخير مستبعد كونه يتجاوز عهد أردونيو إلى عهد ابنه الفونسو، كما يستبعد لنفس السبب عام ٨٨٠م الذى تحدده حوليات: Anales Toledanos I, ed. Huici, 1 p 340.

المركويــز فصُــدَّ العسكر عنه، وتقدم رذريق بحشوده وعسكره، فحلَّ على الخندق المجاور للمركويز، وكان رذريق قد عانى توعيره أعواماً، وسخَّر فيه أهل مملكته، وقطعه من جانب الهضبة، فارتفع جرفه وانقطع مسلكه..."[١٣٣].

ويدلــنا هذا النص على أن رودريك كان كونتاً لقشتالة فى قوله "صاحب القلاع"، إذ لا يخفى أن لفظ "صاحب" لا يعنى هنا إلا حاكماً أى كونتاً، وأما لفــظ القــلاع فهو التسمية العربية للفظ قشتالة الإسبانى Castella أى القلعة، وجمعهــا قلاع لوفرة ما فى الإقليم منها؛ وهى وفرة يؤكدها النص فى تعداده لأســماء بعضها بل ولأسماء من تولوها وقتذاك؛ وكانوا على ما يبدو –مثلما يوحى النص – نواباً فيها عن رودريك، الذى كانت له الرئاسة عليهم بوصفه كونت الإقليم بعامة، إضافة إلى القيادة العامة لقوات الإقليم وحشوده فى ميدان المعارك، بحيث رأيناه على رأسها مدافعاً عن أراضى الإقليم ككل. ثم يبرز الــنص من جهة أخرى نشاط رودريك وهَمّته فى تحصين قلاع إقليمه وفى تأميــنها بوســائل الدفــاع المختلفة؛ كالخندق الذى اجتهد فى توعيره أعواماً وســخر فيه أهل إقليمه حتى قطعوه من جانب الهضبة، فارتفع جرفه وانقطع مسلكه. وعلى هذا النحو اتفقت الرواية الإسلامية مع مثيلاتها الإسبانية بشأن رودريك، بل وزادتها وضوحاً بما أوردته عن مهام منصبه ومسئولياته.

أمــا ثانى كونتات قشتالة فهو ابنه دييجو رودريجيث Diego Rodriguez الــذى تشــير إليه ثلاث وثائق، صدَّق على الأولى فى عام ٨٧٣م، وأصدر الثانــية بنفسه فى عام ٨٧٩م، وأشارت إليه الثالثة فى عام ٨٨١م؛ وفى هذه الوثــائق الثلاث يظهر بصفته كونت قشتالة خلال عهد الملك الفونسو الثالث

---

(١٣٣) ابــن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، ليدن ١٩٥١م، ٢ ص ٩٨– ٩٩.

فـــى صيغة واحدة لا تتغير بما نصه: "Regnante Adefonso in Oveto, et Didaco comite in Castella"[١٣٤]؛ وهى ذات الصفة التى يقدمه بها صاحب مدونـــة البلدة فى روايته عن أحداث اقتحام القوات الأندلسية لأراضى قشتالة فى عامى ٨٨٢ و٨٨٣م على التوالى، فيظهر خلالهما كونتا لقشتالة ومدافعاً عـــن أراضيها ضد هاتين الغزوتين؛ ثم يخصه بالذكر فى تاريخ لاحق لهما حين أشار إلى تكليف الملك الفونسو له بالتنسيق مع جاره كونت ألبة Alava، لكـــبح جمـــاح حاكم الثغر الأندلسى الأعلى (سرقسطة)[١٣٥]، وبتكليفه أيضاً بتحصـــين مدينـــتى برغش Burgos وأوبييرنا Ubierna فى عام ٨٨٤م[١٣٦]، لتكونا رأس حربته فى مغاورته والتضييق عليه[١٣٧].

---

(١٣٤) الوثـــيقة الأولـــى خاصة بمنحة قدمها الأب سيفيرو Severo لدير سان فليكس San Felix بمدينة أوقة Oca القشـــتالية وصـــدق عليها ديجو، والثانية خاصة بمنحة قدمها ديجو نفسه لذات الدير، وأما الثالثة فهى اتفـــاق بين بعض رجال الدين يؤكدون به تواصل تبرعاتهم وهباتهم لدير سان فيسنت San Vicente بمنطقة ســـان ميلان San Milan بقشتالة أيضاً؛ وعن نصوصها على التوالى انظر: Floriano, op cit,1 pp 317- 318; 2 pp 45- 46. pp 68- 69. لكـــن يلاحظ أن فلوريانو اقترح للوثيقة الأولى تاريخ ٨٦٣/٣/٥م، وللثانية تاريخـــا غـــير محدد فى عام ٨٦٩م، وللثالثة تاريخا غير محدد أيضا فى عام ٨٧١م؛ وهى تواريخ محرفة نظرا لاستخدام محررى وثائق هذا العصر الأرقام اللاتينية فى تقويم وثائقهم، وهى أرقام – مثلما هو معلوم – يسهل تحريفها وتصحيفها لتشابه بعضها لا سيما أرقام (I) أى واحد و (V) أى خمسة و(X) أى عشرة و (L) أى خمســـين، ولذلك جاءت التواريخ التى اقترحها فلوريانو غير متفقة مع مضمون كل وثيقة؛ فالتاريخ الأول مـــثلا لا يـــتفق مع عهد الفونسو الثالث وإنما يدخل ضمن عهد أبيه من قبل، كما أنه يدخل ضمن مدة حكـــم رودريـــك لقشتالة وليس ضمن مدة حكم ابنه ديجو، وبالمثل فلا يدخل التاريخان الثانى والثالث ضمن مـــدة حكـــم ديجو لقشتالة وإنما ضمن مدة حكم أبيه من قبله، ولذلك يرى بعض المؤرخين أن هذه التواريخ سابقة على تاريخها عشر سنوات ويجب تعديلها كى تستقيم مع مضمون الوثائق لا سيما وأنها وثائق مؤكدة، انظر على سبيل المثال: Barrau- Dihigo, Recherches sur L'Histoire Politique de Royaume Asturien, Revue- Hispanique, Paris- New York1921, 52 p 342.

(١٣٥) Chron. Albeldense, op cit, 13 p 456 chap 68- 69; pp 457- 458 chap 74- 75.

(١٣٦) انظـــر: Anales Castellanos I, op cit, p 23، ونصـــها: "Era Dcccxx populavit Didacus commes Burgos et Auvirna pro Iussionem domno Adefonso". أمـــا مدونات: Cron Burgense, op cit, 23 p 308; Anales Toledanos I, op cit, 1 p 340; Annales Compostellani, op cit, 1 p 40; Cron. Cerratensis, ed. Huici, 1 p 92. فتشير جميعها إلى تعمير مدينة برغش فقط وتجعلها فى عام ٨٨٢م.

(١٣٧) راجع: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 457 chap 73.

لكن يصعب اقتفاء أى أثر لدييجو منذ عام ٨٨٤م فصاعداً، إذ يختفى كلية من كافة الوثائق والمصادر حتى يظهر كونت آخر يدعى جونثالو تليث Gonzalo Telliz فى وثيقة أصدرها بنفسه فى الرابع والعشرين من أكتوبر عام ٩٠٢م، وهو وإن أشار إلى نفسه فيها بالإسم ودون لقب[١٣٨]؛ إلا أنه يظهر فى وثيقة مؤرخة فى الأول من سبتمبر من العام الذى يليه بصفته كونت قشتالة فى أيام الملك الفونسو الثالث أيضاً بما نصه:

"regnante domini Adefonsi Rex in Oveto, et Comite Gondezalbo [١٣٩] Telliz in Castella".

وهاتان الإشارتان تدلان على أنه إن لم يكن قد تولى منصبه فى عام ٩٠٢ م، فإنه ارتقاه حتماً فى العام الذى يليه؛ ومع ذلك تختفى أى إشارة عنه حتى يصادفنا آخر كونتات قشتالة وهو نونيو نونييث Nunio Nunez خلال عام ٩٠٩م، وفى وثيقتين: إحداهما مؤرخة فى الأول من فبراير والأخرى فى الثالث والعشرين من يوليو؛ وكلتاهما تنصان على أنهما صدرتا فى عهد الملك الفونسو وقت أن كان نونيو نونييث كونتاً لقشتالة[١٤٠]. وتجدر الإشارة هنا على أن نونيو هذا هو الذى أشارت إليه الرواية الإسبانية - خلال الحملة الأندلسية على قشتالة فى عام ٨٨٢م - كأحد نواب الكونت رودريك، وكان وقتها يتولى قلعة كاستروخيريث Castrojerez، واضطر أن يخليها قبل

---

(١٣٨) إذ ابتدأها بما نصه: "In Dei nomine, Ego Gundisalbo"، ثم صدق عليها بما نصه: Gundisalbo Telliz, qui hanc Cartula donationis fieri voli, manu mea (signum)؛ وعن نصها انظر: Floriano, op cit, 2 pp 280- 281.

(١٣٩) عقد بيع ضيعة فى منطقة بالبويستا Valpuesta فى قشتالة، وعن نصها انظر: Floriano, op cit, 2 p 282

(١٤٠) الوثيقة الأولى عبارة عن عقد بيع ضيعة فى ضواحى مدينة برغش، والثانية عقد بيع ضيعة أخرى على نهر Ubierna، وكلتاهما فى إقليم قشتالة، وتنص الوثيقتان على: "Regnante principe Adefonso in Obeto, et comite Nunu Nuniz in Castella"؛ وعن نصهما راجع: Floriano, op cit, 2 pp 374, 383- 384.

وصول القوات الأندلسية؛ إذ لم يكن قد اكتمل تحصينها أو توفرت فيها وسائل الدفاع الكافية بعد، فدخلتها القوات الأندلسية بدون مقاومة وأقامت فيها بعض الوقت للراحة ثم غادرتها إلى غيرها، وحينذاك عاد إليها نونيو واستكمل تحصيناتها وتدعيم دفاعاتها، بحيث إنه حينما عاودت قوات الأندلس غزوها في العام التالى ألفتها منيعه صعبة المرام، ولما لم تتمكن من النيل منها غادرتها إلى غيرها من قلاع تلك الناحية(١٤١). وبذلك تتابع أربعة من الكونتات على قشتالة حتى نهاية عهد المملكة فى عام ٩١٠م.

أما الكونتية الثانية فهى ألبة Alava التى كانت تشكل الجبهة الشرقية للمملكة، لكن على الرغم من أهمية دورها هى وجارتها قشتالة فى تأمين المملكة من الجبهتين الشرقية والجنوبية الشرقية، بحكم مجاورتهما الثغرين الأندلسيين الأوسط (طليطلة) والأعلى (سرقسطة) اللذين كانت تنطلق منهما معظم الحملات الأندلسية على أشتوريس، فإن كل وثائق العصر لا تورد عنها أو عن حكامها شيئاً بالمرة؛ وما هو متوفر عنها مستمد فقط من المدونات التى اقتصرت على الإشارة إلى اثنين من حكامها خلال عهد الملك الفونسو الثالث؛ وأولهما الكونت إيلون Eylon الذى أمدنا الأسقف سامبيرو بقصة تمرده وتدبيره لانقلاب ضد الملك الفونسو الثالث فى مطلع العام الثانى من حكمه (٨٦٧م) بهدف الاستقلال بكونتيته .

---

(١٤١) قارن: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 456 chap 69; p 458 chap 75. إذ ينص فى الصفحة الأولى على: Castrum quoque Sigerici ob adventum Sarracenorum Munio, filius Nunni, eremum dimisit, quia non erat adhuc strenue munitum" وفى الصفحة الأخرى ينص على: "Deinhinc Castellum Sigerici munitum invenit, sed nihil in eo egit, Augustoque mense ad Legionenses terminus accesit".

علـــى أن الملك تمكن من القبض عليه ووأد تمرده فاختفى ذكره بعد ذلك كلية[١٤٢].

أمـــا الكونـــت الثانى فيدعى فيخيلا خيمنيث Vigila Jimenez، الذى خلط الـــبعض بيـــنه وبين إيلون السابق ذكره على أنهما شخصية واحدة[١٤٣] وهو خلـــط ليس له ما يبرره؛ إذ تزامن إيلون مع بدايات عهد الفونسو أما فيخيلا فقـــد عاصر النصف الأخير من عهده متزامناً مع جاره دييجو ثانى كونتات قشـــتالة، إذ تقدمـــه مدونة البلدة فى روايتها عن أحداث الحملتين الأندلسيتين على أراضيهما فى عامى ٨٨٢ و٨٨٣م، ومؤكدة فى وضوح لا لبس فيه أن القوات الإسلامية قد بدأتا باقتحام أراضى ألبة فى المرتين، وحاصرت قلعتها ســـيلوريكو Cellorico – الواقعـــة جنوب ممرات جبال أوبرينس Obarenes على مقربة من نهر إبرو Ebro – وفى كلتا المرتين اضطرت أمام استبسال فيخـــيلا فى مدافعته عنها إلى رفع حصارها وإخلاء أراضيه كلية، والزحف علـــى قـــلاع جاره دييجو فى قشتالة[١٤٤]؛ ثم يقدم – صاحب البلدة – فيخيلا

---

(١٤٢) Chron Sampiri, op cit, 14 p 438 chap I، حيـث يقول: "Ipso vero istis satagente operibus, nuntius ex Alavis venit, eo quod intumuerant corda illorum contra regem. Rex vero haec audiens, illuc ire disposuit: terrore adventus ejus compulsi sunt, et subito jura debita cognoscentes, supplices colla ei submiserunt, pollicentes se regno, et ditioni ejus fideles existere, et quod imperaretus efficere: sicque Alavam obtentam proprio imperio subjugavit, Eylonem vero, qui Comes illorum videbatur, ferro vinctum secum Ovetum attraxit"؛ وانظـــر أيضا: Rerum in Hispania, op cit, 2 p 78 lib 4 chap 15; La Cronica de Lucas, ed puyol, p 298.

(١٤٣) Jaurgain, La Vasconie, Pau 1902, 2 pp 174- 175.

(١٤٤) قارن: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 456 chap 67- 68, 458 chap 74- 75؛ ونص روايته عن الحملة الأولى ما يلى: "Sicque hostes Caldaeorum in terminos Regni nostri intrantes, primum ad Celloricum Castrum pugnaverunt, et nihil egerunt sed multos suos ibi perdiderunt. Vigila Scemeniz erat tunc Comes in Alava: ispa quoque hostis in extremis Castellae veniens ad Castrum, cui Ponte Curbum nomen est, trib[illegible]diebus pugnavit, et nihil victoriae gessit, sed plurimos suorum gladio vindice perdidit"؛ أما نص روايته عن الحملة الثانية فهو: "Postea quoque ipsa hostis in t[illegible]inis nost[illegible] Regni intravit, primumque ad Castrum Celoricum pugnavit, multosque interfectos e suis tot dimisit, Vigila Comes muniebat ipsum Castrum. Deinde ad terminus Castellae in Ponte Curbo Castro pervenit".

للمـــرة الثالثة وفى عام لاحق لهاتين الغزوتين متعاوناً مع جاره دييجو فى مغـــاورة حاكم سرقسطة والتضييق عليه، حتى أجبراه على طلب الصلح، إلا أن الملـــك الفونســـو أعرض عنه، ولم يستجب لتوسلاته لعدم ثقته به فظلت علاقـــتهما متوترة[١٤٥]. أما ما يتوافر عن كونتية جليقية Galicia وهى الجبهة الغربـــية للمملكـــة، فهو الآخر فى حكم القليل المتناثر، ولا يلقى إلا قليلاً من الضـــوء على ثلاثة كونتات فقط ممن تتابعوا على حكمها، فيما بين منتصف القـــرن التاسع حتى نهاية عهد المملكة فى أوائل القرن العاشر أى على مدى ستين عاماً كاملة. وأول هؤلاء الكونتات يدعى بدرو Pedro الذى ألمحت إليه إحـــدى المدونات، فى إشارة خاطفة خلال عهد الملك أوردونيو، وهو يتولى مدافعة النورمان وصدهم عن سواحل كونتيته فى حوالى عام ٨٦٠م[١٤٦]؛ ثم يخـــتفى بعدها كلية حتى تقدم وثيقة مؤرخة فى الخامس من يونيو من العام الذى يليه[١٤٧] كونتاً آخر يدعى فرويلة Fruela، كرئيس هيئة قضائية منعقدة للفصـــل فى نزاع بين أسقفية مدينة براجا Braga الجليقية وبعض مواطنيها، علـــى ملكية ضيعة فى نواحى المدينة؛ إذ تنص افتتاحية الوثيقة على صدور الحكم فى حضوره وبما نصه: "In presentia domini Froilani Commiti"؛ ثـــم يؤكـــد فى تصديقه عليها أن مهمته هذه كانت قضائية بحتة وبما نصه: "Froila quas Iudicavi". ومـــع أن مـــثل هذه المعلومات لا تدلل إلا على أن

---

(١٤٥) انظر: Chron Albeldense, op cit, 13 p 457 chap 73، حيث يقول: "Ipsisque diebus a Comitibus Castellae et Alavae Didaco et Vigila, multas persecutiones et pugnas idem Ababdella sustinuit, et dum vidit se valde obprimi ab eis, statim legatos pro pace Regi nostro direxit, et Saepius dirigit, sed adhuc hucusque a Principe nullatenus pacem accipit firmam, Ille tamen in nostra amicitate persistit, et persistere velet, sed Rex noster ei adhuc non consetit".

(١٤٦) انظر: Chron. Albeldense, op cit, 13 p 453 chap 60; Une Chronique Leonaise, op cit, p 400 chap 29. ونصهما: "Ejus tempore Lordomani, iterum venientes in Gallaeciae maritimis, a pedro Comite interfecti sunt".

(١٤٧) عن نصها انظر: Floriano, op cit, I pp 307- 308.

فـــرويلة كونتاً تولى مهمة قضائية، قد تكون مماثلة للمهام المؤقتة التى كان يعهد بها إلى كونتات البلاط الملكى، ومن ثم لا تنهض دليلاً كافياً على كونه كونت جليقية تحديداً؛ فإن المدونات تقطع هنا الشك باليقين وتقدمه كونتاً عليها (Froilane, Galliciae Comite) حتى وقت وفاة الملك أردونيو فى عام ٨٦٦م[١٤٨]؛ وتضيف إلى ذلك أنه استغل انشغال البلاط الملكى فى أمر الوفاة، وما واكـــبه من مراسم تنصيب ابنه الفونسو – والذى لم يكن يجاوز حينها ثمانية عشر عاماً أو تمت سيطرته على زمام الأمور بعد – وزحف على أشتوريس بقواتـــه الجليقـــية، فباغت المدينة الملكية واقتحم قصرها وفرض نفسه على عرشها بالقوة؛ بحيث اضطرالفونسو إلى الفرار واللجوء إلى قشتالة مستنجداً بالكونـــت رودريـــك، فـــأنجده بأن كر على العاصمة ووثب على المغتصب فاغـــتاله داخـــل القصر، وأعاد الفونسو إلى عرشه قبل أن يكتمل الحول[١٤٩]. ومـــا كاد الفونسو يستقر على العرش إلا وأصدر مرسوماً فى العشرين من يـــناير عـــام٨٦٧م[١٥٠]، يقضى بمصادرة كل ممتلكات الثائر لصالح أسقفية إيـــريا Iria إحـــدى أشهر مدن كونتية جليقية؛ وتقديراً من الفونسو لرودريك على ما قام به فقد أشهده على المرسوم، حيث يظهر اسمه وتوقيعه عليه.

أمـــا آخر من توافينا به الوثائق والمدونات من كونتات جليقية فهو الكونت هيرمجـــيلدو Hermegildo، الـــذى وإن أورد الأســـقف سامبيرو اسمه من بين أســـماء المجتمعيـــن فى مجلس أوبييدو برئاسة الملك الفونسو الثالث، على أنه

---

(١٤٨) انظر فى ذلك: Chron, Albeldense, op cit, 13 p 453 chap 61; Chron. Lusitanum, op cit, 14 p 403.

(١٤٩) قارن: Chron. Sampiri, op cit. 14 p 438 chap 1: Anales Castellanos I, op cit, p 23; La Cronica de Lucas, op cit, pp 297- 298; Rerum in Hispania, op cit, 2 p 77 lib 4 chap 15; La Primera Cronica, op cit, 2 p 368 chap 645.

(١٥٠) عن نصه انظر: Floriano, op cit, 2 p 23.

كونـــت تـــودة والبرتغال (Ermenegildus Tude et Portugale Comes)[١٥١] ، وكلـــتاهما مـــن أشـــهر مدن جليقية؛ فإن المرسوم الملكى الصادر فى الرابع والعشـــرين مـــن أبريل عام ٨٨٦م[١٥٢]، يدلل يقيناً على أنه كان وقتذاك كونتاً لجليقية، لكنه لما تآمر على الملك فى بداية عهده ألقى القبض عليه وجرده هو وزوجته إيبيريا Iberia من كل ممتلكاتهما. وعند هذا الخبر تنقطع الأخبار كلية عمن تولى حكم جليقية بعده ، فيما تبقى من عمر المملكة أى على ما يزيد عن ربع قرن بقليل.

وأمـــا المـــنطقة الوسطى من المملكة وهى التى تشمل إقليمى أشتوريس ولـــيون، فقـــد عرفـــت بكونتـــية إلبيرزو El Bierzo نسبة إلى أشهر أودية المنطقة؛ لكنها مع الأسف لم تحظ من اهتمام وثائق عصرها بما يتناسب مع أهميـــتها باعتبارها قلب المملكة ومقر عاصمتها، بحيث لا يتوفر عنها سوى مرســـوم ملكى واحد صدَّق عليه الملك الفونسو الثالث فى السادس من يونيو عـــام ٨٧٨م[١٥٣]، متضـــمناً حكماً قضائياً أصدره القاضى جاتون (غاتون) Gaton رئـــيس هيئة قضائية انعقدت فى مدينة أستورقة Astorga إحدى أهم مـــدن مـــنطقة ليون Leon، لصالح أسقفية المدينة فى نزاع بينها وبين بعض

---

(١٥١) انظر: Ed. Florez, 13 p 442 chap 9.

(١٥٢) عن نصه انظر: Floriano, op cit, 2 p 165- 166؛ إذ يشير إلى مصادرة أملاكه بسبب تآمره بما نصه: "Quantoscumque ibi habuerunt Hermegildus filius petri et uxor sua Yberia, qui se in superbite tumorem contra nos elevaverunt, et rebellionis ausu adtenti, patrie nostre extrema conturbaverunt, et nostram necem cum aliis sibi consimilibus cerciter machinaverunt, et per legum decreta et nostre sinodis instituta, omnia sua, quecumque visi sunt habere, tam de proprietate, quam et de colibet conqaestu, prout illorum fuerunt merita, ex toto carverunt....".

(١٥٣) عن نصه كاملا انظر: Floriano, op cit, 2 pp 127- 129; Florez, op cit, 16 pp 424- 426.؛ والإشارتان الواردتان فيه عن جاتون هما أولا: "In Presentia nostro Domini Dominissimi Adefonsi Principis.... Vel Judicium Gaton" والثانية هى: "Quando eam prendidit Domini Ordonii. quando populus de Bergido cum illorum Comite Gaton exierunt pro Astorica populare".

مواطنـــيها على ملكية ضيعة فى ضواحى مدينة برجيدو Bergido المجاورة لأستورقة. وفى هذا المرسوم نقف على إشارتين لهما دلالتهما بشأن جاتون، أولهمـــا وردت فـــى افتتاحيته ونصت على أنه: "القاضى الذى أصدر الحكم باســـم الملـــك"؛ وأما الأخرى فقد جاءت فى ثناياه وأشارت إلى أنه أصدره بوصفه: "الكونت المسئول عن تعمير المنطقة منذ أيام الملك أردونيو"، وهى إشـــارة تضفى عليها المصادر الإسبانية نوعاً من التأكيد، وذلك فى روايتها عما شهدته المنطقة – هى وغيرها من نواحى المملكة – من نشاط دائب فى تعمـــيرها وتحصينها وتنميتها تنمية شاملة على عهد الملك أردونيو، لا سيما فـــى مدينتى أستورقة وليون وضواحيهما[١٥٤]؛ باعتبارهما أهم مدن الكونتية بعـــد العاصمة أوبييدو، ولهما أهمية استراتيجية فائقة فى تأمين قلب المملكة لـــتحكمهما فـــى ممـــرات جـــبال كنتبرية المفضية إليه. وإضافة إلى هاتين الإشـــارتين فقـــد أوردت المصادر الإسبانية والعربية إشارة ثالثة قدمت فيها جـــاتون قائداً لقوات أشتورية أرسلها الملك أردونيو فى عام ٨٥٤م لمعاونة أهالى مدينة طليطلة فى ثورتهم على أميرهم الأندلسى[١٥٥].

---

[١٥٤] عن الوثيقة الخاصة بتعمير مدينة أستورقة وهى مؤرخة فى السادس من مايو عام ٨٥٤م انظر: Sanchez Albornoz, Serie de Documentos Ineditos del Renio de Asturias, Cuadernos de Historia de Espana, Buenos Aires 1944, I- 2 pp 327- 328. وعـــن تعمير مدينة ليون قارن على التوالى: Chron Burgense, Annales Complutense, Annales Compostellani, Annales Toledanos, ed. Florez, 23 pp 308, 311, 318, 381; Une Chronique Leonaise, op cit, 11 p 397 chap 9; Anales Castellanos, op cit, p 23. وعن نشاط حركة التعمير فى عهد أردونيو بعامة قارن: Chron Albeldense, op cit, 13 pp 452- 453 chap 60; Chro Sebastiani, op cit, 13 p 487 chap 23; Chron. Silensis, op cit, 17 p 282 chap 25. وأما عن طبيعة هذا التعمير فقارن: Risco, op cit, 34 pp 127- 128; 37 p 201; Dozy, op cit, 1 pp 140- 141

[١٥٥] انظر: Historia Arabum, op cit, p 43 chap 27; La Primera Cronica, op cit, 2 p 364 chap 636؛ ابـــن عذارى، البيان، ٢ ص ٩٤– ٩٥ الذى يجعل غضون أخا للملك أردونيو وهو أمر مســـتبعد؛ كما يسميه ابن حيان، المقتبس، ص ٢٩٧ برمند القس؛ أما الدراسات الحديثة فتجعله صهر (شقيق زوجة) أردونيو، انظر: Emilio Saez, Los Ascendientes de San Rosendo, Hispania 1948, 30 pp 39, 94; Levi- Provencal, op cit, 1 p 393؛ وإن يجعلـــه دوزى Dozy من الأسرة الحاكمة، انظر: Recherches, op cit, 2 p 163.

واســـتناداً إلى أن كونتات الأقاليم هم الذين كانوا يباشرون العدالة – كلّ فى كونتيـــته – فيصـــدرون الأحكـــام بوصفهم قضاة وباسم الملك ليصدق عليها، وباسمه أيضاً يباشرون مهام التعمير والتوطين، ويتولون قيادة قوات كونتياتهم إما دفاعاً عنها، وإما هجوماً على ما يجاورها من أراضى الأندلس؛ وكلها مهام باشـــرها – مثلما هو واضح – الكونت جاتون على مدار سنوات متصلة، ولم تكن مهاماً موقوتة كالتى تولاها كونتات بلاط العاصمة؛ وهو الأمر الذى يقطع بأنه تولى كونتية إلبيرزو معظم عهد الملك أردونيو وشطراً لا بأس به من عهد ابـــنه الفونســـو الثالـــث؛ وتزامن بذلك مع رودريك كونت قشتالة وإن ظل فى منصـــبه مدة أطول منه؛ وإن كنا مع ذلك نجهل مصير كونتيته منذ أن اختفى اسمه من المصادر فى عام ٨٧٨م حتى نهاية عهد المملكة فى عام ٩١٠م.

وتأسيســـاً علـــى ما سبق يمكن القول دون تحفظ، أنه على الرغم مما انتاب وثـــائق المملكـــة من قصور واضح فيما يتعلق بإدارتها المحلية، فقد دللت فى المقـــابل على أن هذه الإدارة كانت أمراً واقعاً منذ منتصف القرن التاسع، وأن مهمـــة الإشـــراف علـــيها ومباشـــرتها قد أنيطت إلى كونت ينوب عن الملك، ويمارس باسمه كافة اختصاصاته وصلاحياته العسكرية والمدنية وحتى الدينية.

والملفـــت للـــنظر فى هذه الوثائق أن استأثرت كونتية قشتالة بالعدد الأوفر منها؛ كما أنها لم تؤرخ بالسنوات مثل وثائق الكونتيات الأخرى، وإنما أرخت طبقاً للملك الحاكم وقتذاك فى العاصمة أوبييدو، فتذكره بالإسم أولاً ثم تلحق به اســـم الكونـــت الحاكم فى قشتالة، فى عبارة لا تتغير وكأنها مصطلح قانونى خاص بالوثائق القشتالية؛ وهو أمر يدلل ولا شك على تميز مكانة هذه الكونتية ومعها مكانة كونتها. لكن وإن أبقى هذا التميز على ولاء كونتاتها التام للملك، يسارعون إلى نجدته كلما ألمت به ضائقة داخلية أو خارجية، فإنه أحقد غيرهم

من الكونتات وأذكى شهوتهم فى التمرد والنزوع إلى تدبير انقلابات يفرضون بها إرادتهم، لكن كونتات قشتالة ظلوا لهم بالمرصاد.

قصارى القول، أنه فى الوقت الذى كانت فيه مملكة أشتوريس تقترب حثيثاً مـــن نهايتها، كانت مؤسسات نظام حكمها فى العاصمة وفى الأقاليم قد أرسيت واتضـــحت؛ وهى وإن اقتبستها فى مجملها من مؤسسات قوط مملكة طليطلة، فإنهـــا طوعـــتها بمـــا كان يتناسب مع ظروفها، كما طعمتها بمؤثرات أخرى فرنجية؛ ثم أورثتها لما خلفها من مؤسسات ممالك إيبيريا اللاحقة، حتى صارت الأساس الذى استوى على عوده شكل نظام الحكم فى مملكتى إسبانيا والبرتغال الحاليتين.

الملحق الأول

ثبت ملوك القوط[1]

١- ألاريك	(٣٩٥- ٤١٠م)	توفى وفاة طبيعية.
٢- أتاولف	(٤١٠- ٤١٥م)	قتله أتباعه.
٣- سيجريك	(٤١٥م)	قتل بعد أسبوع.
٤- واليا	(٤١٥- ٤٢٠م)	توفى وفاة طبيعية.
٥- ثيودوريك	(٤٢٠- ٤٥١م)	قتل فى واقعة شالون وهو يحارب الهون بجانب الرومان.
٦- ابنه تورسمند	(٤٥١- ٤٥٣م)	قتله أخوه.
٧- أخوه ثيودوريك (الثانى)	(٤٥٣- ٤٦٦م)	قتله أخوه الأصغر يوريك.
٨- أخوه يوريك	(٤٦٦- ٤٨٤م)	توفى وفاة طبيعية.
٩- ابنه ألاريك (الثانى)	(٤٨٤- ٥٠٧م)	قتل فى معركة فوييه أمام الفرنجة.
١٠- أخوه جيسالريك	(٥٠٧- ٥١١م)	طرد من العرش.
١١- أخوه أمالريك	(٥١١- ٥٣١م)	قتل.
١٢- ثيوديس	(٥٣١- ٥٤٨م)	قتل.
١٣- ثيودجيل	(٥٤٨- ٥٤٩م)	قتل.
١٤- أجيلا	(٥٤٩- ٥٥٤م)	طرد من العرش ثم قتل.
١٥- أثاناجيلد	(٥٥٤- ٥٦٧م)	توفى وفاة طبيعية.
١٦- ابناه ليوفا	(٥٦٧- ٥٧٢م)	
ليوفيجلد	(٥٦٧- ٥٨٦م)	اشتركا فى الحكم حتى وفاة الأول فانفرد الثانى به حتى توفى وفاة طبيعية.
١٧- ابنه ريكاريدو	(٥٨٦- ٦٠١م)	توفى وفاة طبيعية.
١٨- ابنه ليوفا (الثانى)	(٦٠١- ٦٠٣م)	طرد من العرش.
١٩- ويترك	(٦٠٣- ٦١٠م)	قتل.
٢٠- جوندمار	(٦١٠- ٦١٢م)	قتل.
٢١- سيسبوت	(٦١٢- ٦٢١م)	توفى وفاة طبيعية.

---

[1] نقلاً عن: طرخان، دولة القوط، ص ١٣٦- ١٣٧؛ R.E. Tapsell, Monarchs, Rulers, Dynasties and Kingdoms of the world, 1st ed. Great Britain 1984, pp 229- 230 no 43.

٢٢- ابنه ريكاريدو (الثانى)	(٦٢١م)	تولى أشهرا ثم طرد من العرش.
٢٣- سونتلا	(٦٢١- ٦٣١م)	أشرك زوجته وابنه وأخاه فى الحكم فطرده النبلاء.
٢٤- سيسناند	(٦٣١- ٦٣٦م)	توفى وفاة طبيعية.
٢٥- أخوه شنتلا	(٦٣٦- ٦٤٠م)	توفى وفاة طبيعية.
٢٦- تولجا بن سيسناند	(٦٤٠- ٦٤٢م)	طرده النبلاء.
٢٧- شندسونت	(٦٤٢- ٦٥٣م)	توفى وفاة طبيعية.
٢٨- ابنه ركسونت	(٦٥٣- ٦٧٢م)	توفى وفاة طبيعية.
٢٩- وامبا	(٦٧٢- ٦٨٠م)	تنازل عن العرش.
٣٠- إرفيج	(٦٨٠- ٦٨٧م)	طرد من العرش.
٣١- إجيكا	(٦٨٧- ٧٠٠م)	توفى وفاة طبيعية.
٣٢- ابنه وتيزا	(٧٠٠- ٧٠٩م)	طرد من العرش.
٣٣- رودريك	(٧١٠- ٧١٢م)	قتل وهو يحارب المسلمين.

الملحق الثانى